دور السلطان محمد الفاتح فى خدمة العلم والعلماء

(٨٣٣-٨٨٦هـ/ ١٤٢٩-١٤٨١م)

دكتورة/ نيفين مصطفى حسن سعد

المدرس بقسم التاريخ – كلية الآداب

جامعة المنوفية

Abstract

The research aims to examine the role of Sultan Mohamed the Conqueror in the service of science and scientists, as one of the largest Islamic personalities that have left a deep impression is still in many respects and influential to the phenomenon of our time. These personal diverted Islamic history and open a European Istanbul (Constantinople). We can shed light on an important aspect of his life and personality that had a big role in the care of the scientific life of science and scientists and its association with scientists of his time and the importance that scientists in supporting him.

This is because my interest in this aspect of the life of Mohamed that he has not been given adequate attention from historians, this compared to what wrote about the military and political aspects of his reign and famous including its conquests.

Among the most prominent themes of this study are the following:

First: Personal Fatih Sultan Mohamed and the history of his life.
Second: interest Fatih Sultan Mehmet school: Conqueror schools.
Third: the role of scientists in the life of Sultan Mehmet the Conqueror.

الملخص باللغة العربية

يهدف البحث إلى دراسة دور السلطان محمد الفاتح فى خدمة العلم والعلماء، باعتباره من أكبر الشخصيات الاسلامية التى تركت اثراً عميقاً لا تزال فى كثير من جوانبه ظاهرة ومؤثرة إلى وقتنا هذا. وهذه الشخصية حولت مجرى التاريخ الإسلامى والأوروبى بفتح استانبول (القسطنطينية). ويمكننا إلقاء الضوء على جانب مهم من حياته وشخصيته التى كان لها دور كبير فى الحياة العلمية برعايته للعلم والعلماء وارتباطه بعلماء عصره وأهمية ذلك فى مؤازرة العلماء له. ويرجع اهتمامى بهذا الجانب من حياة محمد الفاتح إلى انه لم ينل العناية الكافية من المؤرخين، هذا بالمقارنة بما كُتِبَ عن الجوانب العسكرية والسياسية فى عهده وبما اشتهر به من فتوحات.

ومن أبرزُ محاور هذه الدراسة هى الآتى:

أولاً: شخصية السلطان محمد الفاتح وتاريخ حياته.

ثانيا: اهتمام السلطان محمد الفاتح بالمدارس: مدارس الفاتح.

ثالثاً: دور العلماء فى حياة السلطان محمد الفاتح.

تمهيد:

يهدف البحث إلى دراسة دور السلطان محمد الفاتح فى خدمة العلم والعلماء، باعتباره من أكبر الشخصيات الاسلامية التى تركت اثراً عميقاً لا تزال فى كثير من جوانبه ظاهرة ومؤثرة إلى وقتنا هذا. وهذه الشخصية حولت مجرى التاريخ الإسلامى والأوروبى بفتح استانبول (القسطنطينية). ويمكننا إلقاء الضوء على جانب مهم من حياته وشخصيته التى كان لها دور كبير فى الحياة العلمية برعايته للعلم والعلماء وارتباطه بعلماء عصره وأهمية ذلك فى مؤازرة العلماء له. ويرجع اهتمامى بهذا الجانب من حياة محمد الفاتح إلى انه لم ينل العناية الكافية من المؤرخين، هذا بالمقارنة بما كُتِبَ عن الجوانب العسكرية والسياسية فى عهده وبما اشتهر به من فتوحات.

ومن أبرزُ محاور هذه الدراسة هى الآتى:

أولاً: شخصية السلطان محمد الفاتح وتاريخ حياته.

ثانيا: اهتمام السلطان محمد الفاتح بالمدارس: مدارس الفاتح.

ثالثاً: دور العلماء فى حياة السلطان محمد الفاتح.

وسوف أبدأ بدراسة الجوانب التاريخية لحياة السلطان محمد الفاتح ودوره فى البناء الحضارى للدولة العثمانية، ثم تحليل الأحداث التاريخية الخاصة بحياته، ثم توضيح دور السلطان محمد الفاتح فى خدمة العلم والعلماء.

أولاً: شخصية السلطان محمد الفاتح وتاريخ حياته:

يُعد السلطان محمد الفاتح من أعظم سلاطين آل عثمان، وشملت علاقاته السياسية والحربية أوروبا وآسيا وافريقيا، ويعتبر بحق موطد السيادة العثمانية على أوروبا ومبدد الأحلاف الصليبية، وهو أول سلطان عثمانى اشتهر عند الأوربيين وكثر حديثهم عنه، بل وأول حاكم اسلامى أطلق عليه أهل أوروبا لقب السيد العظيم، وكان مجرد سماع اسمه يثير الرعب والهلع فى قلوب اعدائه، ولا ادل على ذلك من احتفال أوروبا بموته، فقد أقامت البابوية فى روما الحفلات والمهرجانات الصاخبة ابتهاجاً بذلك، وظلت الرهبة والرعب من هذا السلطان تخيم على اعدائه فى أوروبا حقبة طويلة من الزمن ولعشرات من السنين بعد وفاته[1].

ولد السلطان محمد الفاتح بأدرنه[2] فى ٧ رجب ٨٣٣هـ/ ابريل ١٤٢٩م، وهو ابن

(*) بحث تم إلقائه وقبوله فى المؤتمر الدولى الثانى فى تاريخ العلوم عند العرب والمسلمين ـ جامعة الشارقة ـ الإمارات العربية المتحدة فى الفترة من ٨-١١ديسمبر ٢٠١٤.

(١) عبد السلام عبد العزيز فهمى، السلطان محمد الفاتح فاتح ستانبول (القسطنطينية) وقاهر الروم (٨٣٣-٨٨٦هـ/١٤٢٩-١٤٨١م) سلسلة اعلام المسلمين، دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٩٩٣م، ص ٣٠-٣١. نهرو محمد الكسنزان، السلطان محمد الفاتح حياته وفتوحاته، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م، ص ٢٣.

(٢) أدرنة : عاصمة العثمانيين بعد بورصة، وتعزى اهميتها التاريخية إلى موقعها الاستراتيجى على الطريق بين الاناضول والبلقان وتحكمها فى الممر الطبيعى بين جبال رودوب واسترانجا، تسميها المصادر العثمانية باسماء تشريفية مثل " دار النصر " والميمنة " و " دار السلطنة، استولى عليها الاتراك العثمانيون سنة ٧٦٣هـ/١٣٦٢م فى عهد مراد الأول وصارت القاعدة المتقدمة للفتوحات العثمانية فى أوروبا، مما حمل خلفاءه على نقل العاصمة إليها وفيها وضعت خطط حصار ستانبول (القسطنطينية) من طرف السلطان محمد الثانى " الفاتح " الذى اتخذها عاصمة حتى بعد فتح اسطانبول، ولذلك بنى فيها السلاطين قصورا ومساجد كبيرة واشتهرت بحملات الصيد والحفلات السلطانية التى كانت تقام فيها (انظر : محمد بن عبد الوهاب المكناسى، رحلة المكناسى، احراز المعلى والرقيب فى حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب (١٧٨٥م) تحقيق محمد بوكبوط، دار السويدى للنشر والتوزيع والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣، ص٧٨,ح٨٦. ولمزيد من التفاصيل انظر : سليمان بن خليل بن بطرس جاويش من دير القمرانى، التحفة السنية فى تاريخ ستانبول (القسطنطينية)، طبعة مصورة عن طبعة نادرة، ٣ اجزاء، دار صادر، بيروت، ١٨٨٧م، ج١، ص ٤٤. ابراهيم زكى خورشيد، أحمد الشنتناوى، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الاسلامية، كتاب الشعب، المجلد الثانى، ج١٥، مادة: ادرنة، ص ٤٧٦-٤٨١) . بورصة : عاصمة العثمانيين بين سنتى ١٣٢٦م – ١٤٠٢م خلال زحفهم على الممتلكات البيزنطية، وتقع فى آقصى شمال غرب آسيا الصغرى، وكانت من المراكز التجارية المزدهرة بحكم موقعها

السلطان مراد الثانى من أعظم سلاطين آل عثمان وحفيد السلطان محمد جلبى الأول[٣] مجدد بنيان الدولة العثمانية ومنشئها الثانى بعد نكبة تيمورلنك [٤] التى منيت بها البلاد عقب هزيمة بايزيد الأول فى معركة أنقرة. ويعد محمد الثانى سابع سلاطين الدولة العثمانية[٥]، لقب بالفاتح وأبى الخيرات حكم ما يقرب من ثلاثين عاماً (١٤٥١- ١٤٨١م) كانت خيراً وعزة للدولة العثمانية والمسلمين[٦] تولى حكم الدولة العثمانية وهو شاب لم يتجاوز عمره ٢٢

= فى سهل خصب وعلى طرق المواصلات الرابطة بين استنابول وسواحل بحر مرمرة والداخل، فكانت القوافل الحاملة لبضائع الشرق تفرغ حمولاتها ببروسة خلال قرون، كما أزدهر فيها إنتاج الحرير خلال القرن ١٦ م لتعرف مكانتها الاقتصادية تراجعاً أمام منافسة أزمير خلال القرنين ١٧ و١٨ وكانت مركزاً لإنتاج الحرير بتركيا إلى اليوم (انظر : محمد بن عبد الوهاب المكناسى، رحلة المكناسى، ص ٩٤-٩٥، ح١٢٤ ,).

(3)Tursun bey ،Tarih-i Ebu'l – Feth ،Hazirlayan Mertol Tulun ،Baha matbaasi ، (Istanbul ،1977) ،pp.34-36 ،Ismail Hami Danismend ،fatih'in ،hayati ve fetih takvimi ، Kanaat Matbaasi ،(Ankara ،1953) ، 19.

(٤) تيمورلنك : أو تيمور الأعرج ولد سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م تقريباً فى بلدة بالقرب من سمرقند وينتمى إلى إحدى الأسر النبيلة حيث يتصل نسبه بجنكيزخان المغولى من جهة النساء، وخلف عمه سيف الدين فى إمارة كيش سنة ٧٦٢هـ/ ١٣٦٠م وأخذ فى فتح ما حوله من الإمارات والقبائل، وفى سنة ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م جلس على عرش خراسان وقاعدته سمرقند واستطاع أن يتوسع بجيوشه الجرارة وأن يسيطر على جزء كبير من العالم الاسلامى فقد أنتشرت قواته العسكرية فى آسيا من دلهى إلى دمشق ومن بحر آرال إلى الخليج العربى واحتل فارس وأرمينيا وأعالى الفرات ودجلة والمناطق الوآقعة بين بحر قزوين إلى البحر الاسود وفى روسيا سيطر على المناطق الممتدة بين أنهار الفولجا والدون والدنيبر، وقد أتصف تيمورلنك بالشجاعة والعبقرية الحربية والمهارة السياسية، وكان يتروى فى أموره ويجمع المعلومات ويرسل العيون والجواسيس ثم يصدر أوامره بعد ترو وتانٍ بعيدة عن التسرع والأنفعال وقد توفى فى ١٧ شعبان سنة ٨٠٧هـ / ١٨ فبراير ١٤٠٥م فى آقليم خوقند قبل أن يصل إلى الصين التى كان متجها لمحاربتها (انظر: صبحى عبد المنعم، عبد الحميد سليمان، دراسات فى تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ، ص ٤٣، ح٣).

(٥) فريد بك المحامى، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق د. إحسان حقى، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م، ص ١٦٠. برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الاسلامية، تعريب وتعليق سيد رضوان على، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، ص ١٧، ح٤.

(٦) عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بنى عثمان، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣، ص ٥٢. على حسون، تاريخ الدولة العثمانية وعلآقاتها الخارجية، المكتب الاسلامى، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م، ص ٣١. على محمد الصلابى، السلطان محمد الفاتح وعوامل النهوض فى عصره، دار الايمان للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢، ص١٠٢.

سنة [٧].

نشأ محمد الفاتح فى بيئة طابعها متانة الخلق ومن جيل سمته صفاء السريرة ونقاؤها، وعنى والده بتنشئته وبتربيته جسمياً وعقلياً ودينياً، فمرنه على ركوب الخيل والرمى بالقوس والضرب بالسيف[٨]، ومنذ صغره كان والده السلطان مراد الثانى يصطحبه معه بين حين وآخر إلى بعض المعارك، ليعتاد مشاهد الحرب ومناظر الجنود فى تحركاتهم واستعداداتهم، وليتعلم قيادة الجيش وفنون القتال عملياً، حتى إذا ما ولى السلطنة وخاض غمار المعارك خاضها عن دراية وخبرة[٩].

لقد امتاز السلطان محمد بشخصية فذة جمعت بين القوة والعدل، فمن طفل مشاكس كان من الصعب جداً تهذيبه، ثم إلى يافع عنيد، صار فى نهاية الأمر عاهلاً يتميز بالنزوع إلى التسلط[١٠]. كما أنه فاق أقرانه منذ حداثته في كثير من العلوم التي كان يتلقاها عن شيوخه، وكذلك من مدرسة الأمراء، خاصة إنه كان على معرفته بكثير من لغات عصره، كما عُرِفَ عنه ميله الشديد لدراسة كتب التاريخ، مما ساعده فيما بعد على إبراز شخصيته في فن الإدارة وميادين القتال، وكلل ذلك بفتح استانبول (القسطنطينية) [١١].

ورث السلطان محمد الفاتح دولة قوية واسعة، ولكن لم ترض نفسه الطموح بأن يكتفى بأمجاد أسلافه، ويعيش فى رفاهية ونعيم بل صمم على أن يزيد أمجاداً جديدة إلى أمجادهم بفتوحه فى أوروبا وآسيا الصغرى ويتوج تلك الأمجاد وأمجاد الإسلام عامة بتحقيق حلم رواد المسلمين وهو فتح القسطنطينية (استانبول) عاصمة الدولة البيزنطية [١٢].

---

(٧) نهرو محمد الكسنزان، مرجع سابق، ص ٢٤. عزتلو يوسف بك اصاف، مرجع سابق، ص ٥٢-٥٥، سيد رضوان على، محمد الفاتح بطل الفاتح الاسلامى فى أوروبا الشرقية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨١، ص١٠.

(٨) عبد السلام عبد العزيز فهمى، مرجع سابق، ص ٣١.

(٩) عبد السلام عبد العزيز فهمى، مرجع سابق، ص٣٣.

(١٠) روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع بالتعاون مع البعثة الفرنسية للأبحاث والتعاون . قسم الترجمة، القاهرة . باريس، ١٩٩٣م، ج١، ص ١١٣.

(١١) يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سليمان ,محمود الانصارى، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا ـ استانبول ١٩٨٨، ج١، ص ١٣١، على محمد الصلابى، السلطان محمد الفاتح، ص ١٠٢.

(١٢) سيد رضوان على، مرجع سابق، ص ١١.

انتهج محمد الفاتح نفس المنهج الذى اتبعه والده وأجداده فى الفتوحات، ولقد برز بعد توليه السلطة فى الدولة العثمانية بقيامه بإعادة تنظيم إدارات الدولة المختلفة، واهتم كثيراً بالأمور المالية فعمل على تحديد موارد الدولة وطرق الصرف منها بشكل يمنع الإسراف والبذخ والترف، وركز ذلك على تطوير كتائب الجيش وأعاد تنظيمها ووضع سجلات خاصة بالجند، وزاد من مرتباتهم وأمدهم بأحدث الأسلحة المتوفرة فى ذلك العصر [١٣].

كان السلطان محمد الفاتح عالماً بالرياضيات، وعالماً فى العلوم الدينية، وملماً باللغات العربية والفارسية واليونانية والسلافية والإيطالية والعبرية[١٤] وغيرها من اللغات العالمية المهمة حتى بلغ عدد اللغات التى كان ملماً بها تسع لغات، مما جعله يتفوق من الناحية العسكرية والعلمية على سلاطين الدولة العثمانية[١٥]. وكان مما قصد إليه السلطان الفاتح من تعلم اللغات الاجنبية كاللاتينية والاغريقية ــ على سبيل المثال ـ أن يتمكن من الاتصال المباشر بشعوبه العديدة ذات الألسنة المختلفة، يخاطبها بلغتها، وليقف على أحوالها بنفسه، ويتحرى عدالة عماله[١٦].

اهتم الفاتح بتنظيم إدارة دولته مدنياً وقانونياً، ومن ثم عرف بلقب محمد القانونى أيضا لوضعه قانون الدولة الأول، المتصل بوظائف رجال الدولة والقصر والجيش، والذى ظل معمولاً به إلى عهد السلطان سليمان القانونى فى القرن السادس عشر، بعد أن أجرى عليه بعض التعديلات. وهكذا لم يكن محمد الفاتح مجرد فاتح عظيم، بل منشئ حضارة تركية

---

(١٣) على محمد الصلابى، السلطان محمد الفاتح، ص١٠٢-١٠٣.

(١٤) على همت بركى الآقسكى، العاهل العثمانى ابو الفتح السلطان محمد الثانى فاتح استانبول (القسطنطينية) وحياته العدلية، تعريب محمد إحسان بن عبد العزيز، بمناسبة الاحتفال بمرور خمسمائة عام على فتح استانبول، القاهرة، ١٩٥٣م، ص ١٥. محمد نامق كمال، فاتحة الفتوحات العثمانية، المطبعة الوطنية، حيفا، ١٩٠٩م، ص ٣١.

(١٥) أحمد آق كوندز، سعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة ، ٣٠٣ سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، وقف البحوث العثمانية، استانبول، ٢٠٠٨م ص ١٢٢. أحمد عبد الرحيم مصطفى، فى أصول التاريخ العثمانى، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٢، ص ٦٥. يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية ج١، ص١٤٥.

(١٦) عبد السلام عبد العزيز فهمى، مرجع سابق، ص ٣٣.

عثمانية إسلامية [١٧].

واذا كان الفاتح ابناً لسلطانٍ عظيم من سلاطين الدولة العثمانية، فقد كانت أمه أيضا السلطانة خديجة عليمة[١٨] كريمة اسفنديار بك من اسرة الإسفنديارية[١٩] وكانت تقص عليه فى طفولته وصباه حكاياتها وأساطير شعبها بخيال أوروبى، فورث عنها بعض المزايا الكريمة، وأفاد منها الفلسفة الاغريقية [٢٠].

صفات الفاتح:

كان محمد الفاتح رجلاً طويل القامة، وردى الوجه، ممتلئ الوجنتين، مفتول العضلات شبه منقارى الأنف، وكان قائداً بارزاً وإدارياً حقيقياً، كاتماً للسر، لم يَبُحْ بأسرار الدولة حتى ولا لأصدقائه المقربين، باستثناء ما تقتضيه الضرورة، كما كان صبوراً على المصاعب جسوراً أمام الأزمات، منضبط النفس قوى العزيمة لا يلين أمام العقبات والصعاب، أمضى معظم حياته فى الجهاد والكفاح الدؤوب والحركة الدائمة. دمر بيزنطة وفتح القسطنطينية وحول

---

(١٧) سيد رضوان على، مرجع سابق، ص ١٥.

(١٨) تضاربت الأراء والآقوال التاريخية فى اسم وديانة والدة السلطان محمد الفاتح، حيث ذكر بعض المؤرخين انه ولد من جارية ولم يذكر اسمها وفى رواية اخرى ذكر اسمها " هما خاتون " وتوفيت عام ٨٥٣هـ/١٤٤٩م قبل ان تشاهد السلطنة الحقيقية لابنها، ويذكر بعض المؤرخين بأن السجلات الشرعية التى لا تزال موجودة فى مدينة " بورصة " والوثائق الموجودة فى الأرشيف تشير إلى أن اسم والد والدة السلطان محمد الفاتح شخص اسمه " عبد الله " ويقول المؤرخ " بجوى " بان والدة الفاتح بنت لشخص فرنسى كان قد اهتدى واعتنق الاسلام، أى كان من " الدوشيرمة " والمهم هنا ان والدة الفاتح سيدة مسلمة اسمها " هما خاتون " وهى نفس الشخصية " خديجة حليمة خاتون " بنت " ابراهيم أسفنديار اوغلو " (أحمد آق كوندز، سعيد أوزتورك، مرجع سابق ص١٢٠، ١٤٩–١٥٠) بينما ذكر الآقسكى رواية اخرى وهى ان والدة الفاتح هى السلطانة المسلمة خديجة عليمة (لمزيد من التفاصيل انظر : على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٢٨، ح٢) يلماز ازوتونا، مرجع سابق، ج١، ص ١٣١.

(١٩) الإمارة الإسفنديارية : هى إحدى الإمارات التى قامت على أطلال الدولة السلجوقية، وكانت تحكم مقاطعة قسطمونى ومدينة سينوب على ساحل البحر الاسود، وكانوا يزعمون أنهم من سلالة خالد بن الوليد رضى الله عنه، وقد الحقت بلادهم بالدولة العثمانية فى عهد المغفور له محمد الفاتح، وآخر امير منهم هو الامير " قزل أحمد (انظر : على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٣٠، ح١).

(٢٠) عبد السلام عبد العزيز فهمى، مرجع سابق، ص ٣٢. نهرو محمد الكسنزان، مرجع سابق، ص ٢٥.

كنيسة " آيا صوفيا[٢١]."إلى مسجد [٢٢]. وكان هدفه وطموحه يدفعانه إلى إنشاء إمبراطورية عالمية تضم الشرق والغرب على غرار إمبراطورية اسكندر الكبير، وحالت دون تحقيقها موته المبكر[٢٣].

ثانيا: اهتمام السلطان محمد الفاتح بالمدارس: مدارس الفاتح:

بعد فتح استانبول (القسطنطينية)اتسعت البلاد من جميع النواحى فتأسست امبراطورية عظيمة، واقتضى هذا الوضع الجديد من الدولة مضاعفة العناية بشئون التعليم والقضاء. ومثلت الحركة العلمية فى العاصمة الثانية للدولة العثمانية (القسطنطينية) والتى تغير اسمها بعد ذلك إلى استانبول او اسلامبول أو الآستانة أهمية كبيرة ميزت عصر الفاتح، وعرف السلطان محمد الفاتح بحبه للعلم والعلماء؛ لذلك شرع فى إعمارها حتى يضفى عليها شخصية جديدة، وشجع الآخرين أيضا ممن حوله على الاشتراك فى تلك الحملة، وكان من نتيجة تلك الجهود أن حولوا ما يزيد عن مائة بناء بيزنطى إلى مساجد ومدارس وخنقاوات[٢٤]، ولكى يجعل الفاتح من عاصمته الجديدة داراً للعلم أمر بإقامة كلية (مجمع) عرفت باسمه فيما بعد فوق أحد مرتفعات استانبول، وقام بعمل وقفية أعدها من أجل مدارس

---

(٢١)آيا صوفيا: أكبر مسجد فى استانبول(القسطنطينية) وأعظم كنيسة فى الشرق قبل الفتح العثمانى، و تعزى شهرتها واهميتها إلى كونها مثالا كاملا لتشييد القباب فى تاريخ الفن المعمارى، وتدل احدث البحوث أن بانى آيا صوفيا على صورتها الأولى ليس قسطنطين الاكبر وانما ابنه قسطنطيوس الثانى، وقد توالت الاحداث على هذه الكنيسة العظيمة، حيث دمرتها الزلازل والنيران عدة مرات، واعاد بناءها الامبراطور جستنيان الذى اولاها عناية خاصة، وتدل مقاييس هذا البناء على عظمته، وقد زاد الاتراك الماذن الاربعة المحيطة بالبناء وسهروا على اصلاح ما افسده الدهر (انظر: محمد بن عبد الوهاب المكناسى، رحلة المكناسى، ص ٨١,ح٩٥).

(٢٢)محمد مصطفى صفوت، السلطان محمد الفاتح فاتح ستانبول (القسطنطينية)، دار الفكر العربى و القاهرة، ١٩٤٨م، ص ١٤، على حسونة، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الاسلامى، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م، ص ٤١.

(٢٣)سيد رضوان على، مرجع سابق، ص ١٥. نهرو محمد الكسنزان، مرجع سابق، ص ٣٠.

(٢٤)خنقاوات : الخانقاه كلمة فارسية معناها بيت العبادة، وقد اندثر هذا الاسم بمرور الزمن وأطلق عليه " التكية " والتكايا اماكن آقامة الدروايش من الأعاجم، وقد شيد تلك الخنقاوات الأمراء والملوك والأثرياء ليقيم فيها أهل التصوف ليلاً ونهاراً لعبادة الله (انظر : على باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٤ م، ج١، ص ٩٠. توفيق الطويل، التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٤٦، ص٣٨-٣٩).

كلية الفاتح. وأقيمت داخل تلك الكلية عدة مدارس كانت تعبيراً صادقاً عن الحياة العلمية والتعليمية فى سياسة الفاتح المركزية. [٢٥]

وأدرك محمد الفاتح أن لا سبيل إلى تحقيق هذا الغرض إلا بكبار العلماء والأساتذة، فاستقدم من البلاد الإسلامية الأخرى نوابغ العلماء مستعملاً معهم جميع أساليب الاغراء والتشجيع، وباذلاً لهم ضروب العطف والتكريم حتى أنشأ فى عاصمة ملكه جامعة علمية كبيرة نموذجية [٢٦].

وكان السلطان محمد الفاتح يعنى بالعلم والتعليم والمعلمين والطلبة عناية بالغة ويهيئ لهم جميع وسائل التعليم ويوفر للطلبة أسباب المعيشة فى أثناء الطلب لكي لا تشغلهم مطالب الحياة عن التفرغ للعلم. وعهد إلى وزيره الأول محمود باشا (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م) [٢٧] إصلاح نظام التعليم وكان محمود باشا عالماً أديباً شاعراً وفى مركز يسمح له بالنهوض

---

(٢٥) أكمل الدين إحسان أوغلى، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، منظمة المؤتمر الاسلامى، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، ٢ مجلد، استانبول، ١٩٩٩,ج٢، ص ٤٥٦.

(٢٦) على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص٨١.

(٢٧) محمود باشا: من أصل كرواتى وقع أسيراً فى يد محمد آغا من رجال القصر فى إحدى الغزوات فأخذ إلى القصر السلطانى لما بدا عليه من مخايل النبوغ والذكاء والحق بدائرة الخزينة السلطانية ثم بخدمة الامير محمد (السلطان محمد الفاتح فيما بعد) تربى فى القصر تربية عالية فحصل على قسط وافر من العلوم والفنون ولما جلس الفاتح على عرش السلطنة نصبه رئيسا لفرقة الانكشارية ثم واليا على ايالة الروملى وفى سنة ٨٥٧هـ/ ١٤٥٣م ولاه الصدارة العظمى (رياسة الوزراء) خلفا لخليل باشا فقام بحسن ادارة شئون البلاد مدة خمسة عشر عاما وفى خلال هذه المدة قد اشترك فى كثير من المعارك تارة بمعية السلطان واخرى قائدا عاما، وتمكن من الحآق بلاد الهرسك بالبلاد العثمانية وانتصر على المجر وانقذ " لوفجه " وغيرها من المدن من يد العدو واستولى على جزيرة " مدللى " (احدى جزر اليونان) ثم عزل بسعاية محمد باشا الروم سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م ونصب على سنجق " غاليبولى " وعهدتإليهفى سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م مهمة الاستيلاء على " اكريبوز " فنجح فى مهمته، وأبلى بلاء حسنا فى الحملة التى جردت على حسن الطويل فكوفئ بأن عين صدرا اعظم مرة ثانية ثم عزل لتهم عزيتإليهونفى ــ فى رواية ــ وهناك رواية اخرى بانه أعدم. كان محمود باشا عآقلا سياسيا محنكا شجاعا مقداما محبا للعلم والعلماء وقد الف باسمه كثير من الكتب العلمية وله مسجد عظيم ومدرسة وحمام فى الحى المعروف باسمه باستانبول، وكذلك له مسجد ومدرسة فى صوفيا ومنشات خيرية كثيرة من مساجد ومكاتب وقناطر فى بعض المدن التى فتحها فى الاناضول والروملى ولما استولى على اكريبوز منح رتبة القائد البحرى من الدرجة الثالثة (انظر : على همت بركى الآقسكى,مرجع سابق ,ص ٤١-٤٢ ,ح ٢).

بهذه المهمة، فأنشأ فى المدن الكبيرة مدارس عالية إلى جانب المكاتب الموجودة فى سائر المدن والقرى [٢٨].

وكانت المدارس هى المعين الذى يغذى التشكيلات العدلية بالموظفين، فالشريحة العظمى من هيآت العدل وهم القضاة كانوا يعينون من بين صنف " العلمية " وكانت العادة أن تبنى المدارس بجوار المساجد أو ضمن بنائها. أما طلبة العلم ففيها يبيتون، وفى دور "العمارة" يأكلون، وفى المساجد يجلسون للدرس. ثم أنشئت " مدارس " بلغ نظام المدرسة العثمانية الكمال بكلية الفاتح[٢٩]، واتخذ شكله النهائى فى عصر السلطان سليمان القانونى[٣٠].

الانكشارية : هى كلمة مكونة من مقطعين، يكى كلمة تركية بمعنى جديد، چرى كلمة فارسية بمعنى جند، فكلمة يكى چرى تعنى الجند الجديد (محمد شفيق غربال، المقالة الأولى فى ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية، كما شرحه حسين افندى الروزنامجى، احد افندية الروزنامة فى عهد الحملة الفرنسية، بعنوان " مصر عند مفترق الطرق " المجلد الرابع، الجزء الأول، مايو ١٩٣٦، ص ١٤) وعرف هذا الاوجآق فى الوثائق والمراجع العربية باسم جماعة مستحفظان كما اشارتإليهأيضاً باسم وچآق الينكجرى (دار الوثائق القومية بالقاهرة، سجلات محكمة اسكندرية الشرعية، سجل ٤٠، مادة ١٦٥,١٦٢,١٦٠، ص ٦٠-٦٣، بتاريخ ١٢ ربيع الثانى ١٠٣٢هـ/١٦٢٢م.

Stanford. J. Shaw ,The Financial and Administrative Organization and Development Of Ottoman Egypt 1517-1798 ،new-jersy,1962,p 198.

= كما تنطق أيضاً انكشارى او ينكشارى، وقد اختلفت المصادر فى كتابتها، فكتبها البعض ينكجرية، واحيانا اليكجرية والبعض الآخر الينشرية، وتفسير ذلك أن الكاف التركية تنطق (نونا) وكذلك الجيم المعطشة تنطق (كافا) ولما كانت اللغة العربية لا تعرف الكاف النونية اى التى تكتب كافا وتنطق نونا، فقد استعاضت عنها اللغة العربية الكاف، ولذلك تحول النطق فى اللغة العربية إلى الانكشارية او ينكشارى او ينشرى (**Stanford. , p.191 J. Shaw ,The Financial**) مصطفى بن الحاج ابراهيم تابع المرحوم حسن اغا عزبان الدمرداشى، تاريخ وقايع مصر القاهرة المحروسة، ص ٣٣-٣٤، ح٢) وتم تكوين هذا الاوجآق فى عهد السلطان اورخان ثانى سلاطين الدولة العثمانية والغى فى عهد السلطان محمود الثانى عام ١٢٤٠هـ/١٨٢٤م (عزتلو يوسف بك اصاف، تاريخ سلاطين بنى عثمان، ص٢٣، على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٥١، ح١).

(٢٨) محمد مصطفى صفوت، مرجع سابق، ص ١٨٤، على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٤١-٤٢.

(٢٩) أحمد آق كوندز، الدولة العثمانية المجهولة و ص ٦٢٧.

(٣٠) سليمان القانونى : ولد عام ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤ م تولى زمام السلطنة عام ٩٢٦هـ/ ١٥١٩م فقام بحق الخلافة ورفع شان السلطنة إلى أوج العظمة والأبهة ووضع لها عدة قوانين تتعلق بإدارة ولذلك لقب بالقانونى، ثم افتتح عدة فتوحات وباشر الحرب بذاته ١٣ دفعة وشاد الابنية الشاهقة والاسوار الشامخة وتراف بحال الناس فاطلق سراح ٦٠٠

وقد أنشئت عقب فتح استانبول (القسطنطينية) ـ وقبل إنشاء مدارس الفاتح ـ مدرستا " آيا صوفيا" و" زيرك" وأول من تولى التدريس بمدرسة " آيا صوفيا "هو المولى "خسرو" (ت ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)[٣١]، وكانت هذه المدرسة ينبوع علم فياض تفوق المدارس الموجودة فى ذاك العهد بفضل مدرسها ذلك العالم الكبير ومساعديه الأفاضل، وقد احتفظت بمركزها العلمى الممتاز سنين عديدة إلى أن تمت تشكيلات مدارس الفاتح[٣٢].

مراحل التعليم ونظام الالتحاق بمدارس الفاتح:

المرحلة الأولى وتسمى الخارج

المرحلة الثانية وتسمى الداخل

=مسجون من ماسورى مصر وردع الظالمين عن المظالم، وحدثت فى عهده الكثير من الفتوحات فى المشرق الاسلامى وتوفى عام ٩٧٤هـ/ ١٥٦٦م وله من الأولاد ثلاث (انظر : عزتلو يوسف بك اصاف، تاريخ سلاطين بنى عثمان، ص ٦٠-٦١.)

(٣١) المولى خسرو: الإمام العلامة الشهير بملا خسرو، واسمه في الأصل محمد، وإنما سمي بهذا الاسم لأن شخصا مِن أمراء الجند كان يقال له خسرو تزوج باخت المولى المذكور، فلما مات والده وهو صغير كفله الامير المذكور، واشتهر إذ ذاك بأخي زوجة خسرو، ثم غلب عليه الاسم فقيل له: خسرو. كذا في " الشقائق." واخبرني المولى الفاضل مصطفى جلبي، سبط صاحب الترجمة، ان اسم خسرو انما كان يقال لأحد أخوته، وأنه كان يقال له: اخو خسرو، ثم غلب عليه ذلك. ولعله اعرف بذلك من غيره.وانما ذكرته هنا، ولم اذكره في المحمدين، لانه صار لا يعرف الا بهذا، واكثر الخواص فضلا عن العوام لا " يعرفون " انه سمى بمحمد اصلا .كان المولى خسرو من العلماء الكبار، وممن له في العلوم تصانيف واخبار، قرا على المولى بُرهان الدين حيدر الهروي، مُفتي الديار الرومية . وصار مدرسا في مدينة ادرنة، بمدرسة يُقال لها: مدرسة شاه ملك، ثم صار قاضيا باستانبول وغلطة واسكدار (على حسون، مرجع سابق، ص ٤٠٦) ثم فوضإليهبعد موت المولى خضر بيك قضاء قُسطنطينية، مضافا إليها قضاء الغلطة واسكدار، وتدريس ايا صوفية، وكان إذا توجه إلى التدريس بالمدرسة المذكورة يمشي قُدامه وهو راكب سائر طلبته، وكان السلطان محمد يفتخر به، ويقول عنه: هذا ابو حنيفة الثاني.وكان مع كثرة غلمانه وحاشيته يتعاطى خدمة البيت الذي اعده للمُطالعة والتاليف بنفسه، وله الكثير من المؤلفات و توفى في سنة ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م بمدينة استانبول، وحمل إلى مدينة بروسة، ودُفن بها. (انظر : تقى الدين بن عبد القادر التميمى الدارى الغزى المصرى الحنفى (ت ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م)، الطبقات السنية فى تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، لجنة احياء التراث الاسلامى، كتاب رقم ١٧ القاهرة، ١٩٧٠م، ج٣، ص ١٩٩-٢٠٢، ترجمة رقم ٨٢٠، محمد مصطفى صفوت، مرجع سابق، ص ١٨٧).

(٣٢)على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٨٢.

المرحلة الثالثة وتسمى موصلة الصحن[٣٣]

المرحلة الرابعة وتسمى الصحن[٣٤]

نظام الالتحاق:

كان على الطالب الذى يريد الانخراط فى السلك العلمى أن يواظب أولاً على حلقة تدريس عالم فى احدى المدارس المعروفة بمدارس الخارج، ويدرس عليه مبادئ العلوم ثم يلتحق بتوجيه أستاذه باحدى مدارس الداخل ويدرس فيها على عالم آخر العلوم العالية المقررة فيها وحتى اذا أتم دراسته فيها خول له ذلك حق الالتحاق بمدارس الصحن [٣٥].

مدارس الخارج:

١ـ وهى مدارس المرحلة الأولى (الخارج)كانت تمثل أدنى المستويات وتدرس فيها مبادئ اللغة العربية من نحو وصرف والعلوم الدينية والرياضية والطبيعية، ومنطق وعقيدة وفلك وهندسة وبلاغة، علاوة على حفظ أجزاء من القرآن الكريم، وتسمى فى مجموعها " دروس الخارج " وعرفت باسم آخر " مدارس التجريد " أو " مدارس العشرين " وذلك لأن راتب المدرس فيها كان عشرون آقجة فى اليوم [٣٦].

٢ـ وكانت تأتى فوقها مدارس تعرف باسم " مدارس الثلاثين " أو " مدارس المفتاح " وذلك نسبة إلى كتاب "المفتاح للسكاكى"[٣٧] فى البلاغة، وكانت هذه المدارس تركز على

---

(٣٣) مدارس موصلة الصحن " تتمة " لأنها طريق إلى مدارس الصحن فإن الطالب لا يسمح له بالالتحآق بالصحن إلا إذا درس العلوم المقررة فى التتمة ونجح فى الامتحان (انظر : على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٨٥–٨٦، ح٢).

(٣٤) كلمة الصحن : لها عدة معان فى اللغة منها وسط الدار، والدار كما تطلق على المنزل والبيت تطلق أيضاً على البلدة والمدينة، فسميت هذه المدارس صحنا لانها انشئت فى وسط المدينة. وهناك راى اخر يذهب إلى ان المدارس المشار إليها سميت بهذا الاسم لأنها فى ميدان محيط بالمسجد ولكن إذا نظرنا إلى الاماكن التى توجد فيها المدارس يترجح الراى الأول. (انظر : على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص٨٥، ح٢).

(٣٥) على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٨٤–٨٥.

(٣٦) خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد. م. الأرناؤوط ، دار المدار الإسلامى، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢، ص ٢٥٧.

(٣٧)السكاكى (ت ١١٦٠ هـ / ١٢٢٩م) عالم ولد فيما وراء النهر، اشتهر بكتابه " مفتاح العلوم " ويعتبر أكمل كتاب من نوعه فى موضوع البلاغة (انظر: خليل اينالجيك، مرجع سابق، ص ٢٥٨)

البلاغة والعلوم الأدبية، ومعظم هذه المدارس (مدارس العشرين والثلاثين) كانت تنتشر فى الولايات العثمانية.

٣ــ وفوق هذه المدارس كانت تأتى " مدارس الأربعين " و " مدارس الخمسين " التى أسسها الأمراء والأميرات أو الوزراء فى استانبول وأدرنة وبورصة. وفى هذه المدارس كانت تعطى دروس أساسية فى شرح " المفتاح " ودروس متوسطة فى العقيدة على كتاب " المواقف " لعضد الدين الأيجى[٣٨] ودروس متقدمة فى أصول الفقه بالاستناد إلى كتاب " الهداية " للمرغينانى" [٣٩]

مدارس الداخل: [٤٠]

١ــ وهى مدارس المرحلة الثانية كانت تعرف باسم مدارس " ابتدائى داخل " أو " مدارس الخمسين " وتم تأسيسها من بنات السلطان والأمراء والوزراء وفى المستوى الأول كان الطلاب يتعلمون كتاب " الهداية "، وفى المستوى المتوسط يتعلمون أصول الفقه بدراسة كتاب "التلويح" للتفتازانى، بينما كانوا فى المستوى المتقدم يتعلمون تفسير القرآن بواسطة " الكشاف للزمخشرى"[٤١].

٢ــ وفوق هذه كانت تأتى المدارس الثمانى الإعدادية التى أسسها محمد الفاتح، التى كانت تعرف باسم " التتمة " أو " الموصلة للصحن ".

---

(٣٨) عضد الدين الايجى : (ت ١٢٨٠هـ / ١٣٥٥م) ولد فى شيراز، واشتهر بكتابه " الموآقف فى علم الكلام " الذى يعتبر مؤلفا شاملا فى علم الكلام (انظر : خليل اينالجيك، مرجع سابق، ص ٢٥٨).

(٣٩) المرغينانى : (ت ٥٩٤هـ/١١٩٧م) فقيه حنفى عمل فى فرغانة (ولاية فى اوزبكستان) ويعتبر كتابه (الهداية) الذى يوجز فيه خلاصاته الفقهية و احد اشمل الاعمال فى الفقه الاسلامى (انظر : خليل اينالجيك، مرجع سابق، ص ٢٥٨).

(٤٠)أحمد آق كوندز، مرجع سابق، ص ٦٢٨.

(٤١) الزمخشرى : (١٠٧١هـ/ ١١٤٤م) ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن أحمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله، ، من ائمة العلم بالدين والتفسير واللغة والاداب. ولد في زمخشر (من قرى خوارزم) سنة (٤٦٧هـ) وسافر إلى مكة فجاور بها زمنًا فلقب بجار الله، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى الجرجانية (من قرى خوارزم) فتوفي فيها سنة (٥٤٨هـ / ١١٥٣م) وكان معتزلي المذهب، مجاهرًا، شديد الانكار على المتصوفة، اكثر من التشنيع عليهم في الكشاف وغيره. (انظر: الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م)، سير اعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، ٢٤ جزء، ٢٠٠١، ج٢٠، ص ١٥١-١٥٣)

٣ـ وفوق كل هذه كانت " المدارس الثمانى " حيث كان الطلاب يدرسون مجموعة من ثلاثة مواضيع: الفقه والتفسير والعقيدة والبلاغة والدراسات المتصلة بها، كما كانوا يتلقون تدريبات خاصة(٤٢).

وفى مدارس الفاتح كانت يدرس فيها مقاصد هذه العلوم ولا سيما الفقه، ويضاف اليها مواد التاريخ الاسلامى واللغة العربية، وهى فى مجموعها عموميات ومدخل للتخصص إليها ويمكن لخريج المرحلة الثانية (الداخل) تولى الوظائف البسيطة، أما الطالب الذى كان يريد الانخراط فى السلك العلمى فعليه أن يلتحق بالمرحلة العلمية الثالثة، وهى بمثابة إعدادى للمرحلة الأخيرة حيث يدرس على يد علماء متخصصين فى العلوم العالية المقررة فيها، حتى اذا أتم دراسته بنجاح اتاح له ذلك حق الالتحاق بمدارس الصحن (٤٣).

وكان على الطالب لكى يجتاز من مرحلة الخارج إلى مرحلة الداخل ومنها إلى موصلة الصحن ومنها إلى الصحن، أن يؤدى امتحاناً يثبت به لياقته للمرحلة التى يريد الالتحاق بها، وكان لا يسمح له بالانتقال من مرحلة إلى أخرى ما لم تثبت لياقته، وإذا أتم الطالب دراسته فى مرحلتى الداخل والخارج والتحق بموصلة الصحن، ودرس العلوم المقررة فيها ونجح فى الامتحان أعطى براءة سلطانية موشحة بالطغراء(٤٤) وسجل اسمه بالديوان السلطانى العالى وتسمى هذه البراء السلطانية " ملازمت رؤسى"(٤٥). وإذا أراد بعد ذلك أن يتخصص فى مادة، عليه الالتحاق بمدارس الصحن وتلقى فيها الدروس فى تلك المادة، واذا لم يرغب فى الالتحاق بالصحن مكتفياً بدراسة المراحل السابقة، فكان يعين قاضياً فى المدن ما عدا المدن الكبيرة كاستنابول وأدرنة وبروسة(٤٦). أما الطلاب الذين أتموا مرحلتى الخارج والداخل باستانبول، أو ما يعادلهما فى مدارس المدن الأخرى يصح أن يعينوا نواباً عن القضاة فى

---

(٤٢) خليل اينالجيك، مرجع سابق، ص ٢٥٨ ــ ٢٥٩.

(٤٣) محمد مصطفى صفوت، مرجع سابق، ص ١٨٥، عبد السلام عبد العزيز فهمى، مرجع سابق ، ص١٥٧. أحمد آق كوندز، مرجع سابق، ص ٦٢٧

(٤٤) الطغراء : هو علامة التوقيع السلطانى، وكانت توقيعات السلاطين العثمانيين من اجمل التوقيعات، وكانت ترسم فوق الرسائل والمراسيم ويختم بها هذا الموظف فى آخر هذه الاورآق (انظر : برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الاسلامية، ص ١٢٢-١٢٣).

(٤٤)على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق ، ص ٨٧-٨٨.

(٤٦) على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق ، ص ٨٨-٨٩.

المدن الصغيرة، وذلك بشرط أن يؤدوا امتحاناً فى مواد الصك والمحاضر والسجلات[٤٧].

ومدارس الصحن هذه هى التى أنشأها السلطان محمد الفاتح بجانب مسجده (جامع الفتح) الذي بناه بالعاصمة العثمانية " استانبول " ثمان مدارس على كل جانب من جوانب المسجد أربعة مدارس يتوسطها صحن فسيح سميت " بالصحون الثمان " أو " المدارس الثمانية " نسبة إلى صحونها الواقعة فى شمال مسجد الفاتح وجنوبه[٤٨]، وفيها يقضي الطالب المرحلة الأخيرة من دراسته. وكانت كل وحدة من وحدات مدارس الصحن تشتمل على ١٩ حجرة وقاعة كبيرة لإلقاء الدروس وحجرتان للأستاذ والأستاذ المساعد له وحجرتان للفراش والبواب، وألحقت بهذه المدارس مساكن للطلبة ينامون فيها ويأكلون فيها طعامهم ووضعت لهم منحة مالية شهرية يصرف لكل طالب ١٢ آقجة [٤٩]، كمرتب شهرى لمصروفات الجيب [٥٠]، وكان الموسم الدراسي على طول السنة في هذه المدارس. وكانت مناهج هذه المدارس يتضمن نظام التخصص، فكان للعلوم النقلية والنظرية قسماً خاصاً

---

(٤٧) المرجع السابق، ص ٨٩.

(٤٨)أحمد آق كوندز، مرجع سابق، ص ٦٢٧. برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الاسلامية، ص ١٣٢.

(٤٩) آقجة : كلمة آق التركية تعنى ابيض اللون، كلمة آقجة بمعنى السكة البيضاء، ضربت هذه السكة لاول مرة فى عهد السلطان اورخان فى بروسة عام ٧٢٩هـ:/ ١٣٣٨م و وكان وزنها ربع مثقال أى ستة قراريط و ١,١٥٤ جراما وعيارها تسعون بالمائة، كانت الآقجة تختلف تماماً عن كل أنواع السكة الإسلامية المستخدمة فى ذلك الوقت مثل الدرهم والدينار، وللتفريق بينهما وبين السكة الاسلامية سميت السكة العثمانية (آقجة عثمانى) ولا يوجد تاريخ مكتوب على أول آقجة ضربت ولكن يوجد على وجه منها كلمة الشهادة وحولها اسماء الصحابة ويوجد على الوجه الثانى كلمة (أورخان خلد الله ملكه) كان الدرهم الواحد يساوى خمس آقجات من العملة المضروبة فى عهد كل من سليم الأول وسليمان القانونى، أى ان كل آقجة تساوى ٣,٥ قيراط وكان عيارها ٨٥‰% وقد انشئت دور لضرب العملة فى عهديهما فى كردستان وسوريا ومصر والحجاز وقفقاسيا وأذربيجان والعراق واليمن وطرابلس وتونس، وبسبب تعدد هذه الأماكن التى ضربت فيها الآقجة، فانها لم تسك على نسق واحد أو وزن واحد، وقد كثر غش الآقجة ونقص وزنها فى اليمن وفى مصر، وكان الهدف من ذلك الكسب. ومن الجدير بالذكر أن الجبرتى يسمى هذه العملة فى كتبه الأخشا او الآقشا (انظر : مصطفى بن الحاج ابراهيم تابع المرحوم حسن آغا عزبان الدمرداشى، تاريخ وقايع مصر القاهرة المحروسة كنانة الله فى ارضه، تحقيق، صلاح أحمد هريدى على، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢، ص٦٢,ح٥، أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩، ص ٢٣).

(٥٠)محمد بن عبد الوهاب المكناسى، رحلة المكناسى، ص ٩٥، سيد رضوان على، مرجع سابق، ص ٧٦. أكمل الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ج٢، ص ٣١١.

وللعلوم التطبيقية قسماً خاصاً أيضا، وكان الوزراء والعلماء من أصحاب الثروات يتنافسون في انشاء المعاهد والمدارس والمساجد والأوقاف الخيرية [٥١].

وقد تم بناء هذه المدارس على مرحلتين وخصصت للدراسات التمهيدية أى تكون مدخلاً لمدارس الصحن[٥٢]. ويبلغ عدد المدارس المطلة على البحر الأبيض ثمان مدارس نصفها مدارس صحن والآخر مدارس تتمة، ومثلها كذلك بجهة البحر الأسود، وفى الوقفية التى تركها السلطان الفاتح سميت مدارس الصحن الثمان بالمدارس العالية وسميت مدارس التتمة بالمدارس الصغرى [٥٣].

وكانت المدارس التي تعد الموظفين الدينيين يوجد بها ثلاثة فئات من طلبة العلم: فا(الصوفتا) وهي أدناها تليها فئة المعيدين الذي يحمل الطالب عند التخرج منها لقب (دانشمند) [٥٤] أو عالم، وكان يعاون المدرس فى إعادة الدروس على الطلاب وحفظ النظام، ويحصل على خمس آقجات فى اليوم، وكان يشترط على الطالب فى هذه المدارس التفرغ للدراسة[٥٥]. أما الفئة الأعلى فهي منصب المدرس، وبلغ عدد الصوفتا في عهد السلطان مراد الثاني ٩٠ ألفاً. وكانوا كثيراً ما يكون لهم أثر في شؤون الدولة.

وأنشأ بجوار هذه المدارس مكتبة خاصة وكان يشترط في الرجل الذي يتولى امانة هذه المكتبة أن يكون من أهل العلم والتقوى، متبحراً في أسماء الكتب والمؤلفين، وكان المشرف على المكتبة يعير الطلبة والمدرسين مايطلبونه من الكتب بطريقة منظمة دقيقة ويسجل أسماء الكتب المستعارة في دفتر خاص وهذا الأمين مسؤول عن الكتب التي في عهدته ومسؤول عن سلامة أوراقها، وتخضع هذه المكتبة للتفتيش كل ثلاثة أشهر على الاقل[٥٦]. وقد عين

---

(٥١) أكمل الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٥٧.

(٥٢) أكمل الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ج٢، ص ٣١١.

(٥٣) عبد السلام عبد العزيز فهمى، السلطان محمد الفاتح، ص ١٥٧.

(٥٤) الدانشمند : طالب العلم (أحمد آق كوندز، الدولة العثمانية المجهولة، ص ٦٢٧).

(٥٥) خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٦٥. أحمد آق كوندز، الدولة العثمانية المجهولة، ص ٦٢٧

(٥٦) أكمل الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٥٧، على محمد الصلابى، الدولة العثمانية عوامل النهوض، ص ١٧٠-١٧١.

السلطان الفاتح المولى لطفى[٥٧] أميناً لهذه المكتبة[٥٨].

كما أنشأ أيضا مطعماً خيرياً ومستشفى كامل المعدات، وكان الطلبة الذين يدرسون الطب يتمرنون فى هذا المستشفى. وكانت تدرس فى مدارس الصحن جميع العلوم المتعارفة من الدين والأداب والرياضيات والفلك والهندسة والطب [٥٩].

يذكر بعض المؤرخين ان السلطان محمد الفاتح كان يطوف بالمدارس فى وقت متأخر من الليل ويتفقد الطلاب ليعلم المجتهد منهم وغير المجتهد فيكافئ المجتهد، لم يعهد أن حاكماً من الحكام بلغ به حب العلم هذا المبلغ. كما روى أيضا أنه أراد أن يحصل على حجرة فى إحدى المدارس الثمان التى أنشأها فقال له ناظر المدرسة: "عليك بالامتحان لتحصل عليها كما يقضى به شرط الواقف، فأداه بنجاح وحصل على الحجرة ويؤثر عنه انه قال حينئذ: " لتكن لى حجرة على الأقل أسكنها إذا خلعونى يوماً ما من الحكم " وكان رحمه

---

(٥٧) المولى لطفى : هو المولى لطف الله التوقانى من كبار علماء الرياضة وعرف بـ " دلى لطفى " (لطفى المجنون) عالم عثمانى جاء إلى استانبول من مدينة " طوقات " قرأ على سنان باشا وتلقى الرياضة والهياة من على القوشجى حين وصوله إلى استانبول ودخل فى خدمة السلطان محمد الفاتح بواسطة سنان باشا (انظر : أحمد آق كوندز، الدولة العثمانية المجهولة، ص ٢١٠) واشتغل أمينا لمكتبة السلطان محمد الفاتح الخاصة بعد مدة، ولما نفى سنان باشا إلى سفر بحصار سافر معه، وكان رحمه الله لا يبالى بتقاليد المجتمع يرسل نفسه على سجيتها ويطلق لسانه على طبيعته، وغلب عليه روح المزاح والدعابة وكانت تصل دعابته إلى درجة التجريح والإيلام فى بعض الاحيان. ولما توفى الفاتح لقى من ابنه السلطان بايزيد العطف والرعاية فعينه مدرسا فى بعض المدارس ولكثرة فضائله حسده أقرانه ولإطالة لسانه اتهموه بالإلحاد والزندقة فاعدم سنة ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م بفتوى ابن الخطيب سبق ذكره، فوقعت جملة " لقد مت شهيدا " تاريخيا لوفاته بحساب الجمل، وله حاشية على شرح المطالع والمفتاح للسيد وشرح جزءا من البخارى والف رسائل كثيرة فى موضوعات شتى، ومدفون بمقبرة ابى ايوب الانصارى فى استانبول (انظر : على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٤١، ح ١).

(٥٨) على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٤١.

(59)Vakiflar umum mudurlugu ،Fatih Mehmet II vakfiyeleri ،Cilt: 2 ،cumhuriyet matbaasi ,(Istanbul ،1938) ،pp. 6-15 .

Brnard Lewis ،The Emergence of modern Turkey ،first published ،Oxford University press ،(Oxford ،1961) ،P. 183 .

سيد رضوان على، مرجع سابق، ص٧٦.

الله يستقبل زواره فى هذه الحجرة كلما زار المدارس، وكان له فيها مقطة و "چكمجه [٦٠] " مطعمة بالصدف وقد فقد هذا التراث الثمين فى المدة الأخيرة من حكمه[٦١].

وتولى التدريس فى مدارس الصحن الأساتذة والعلماء وتخرج منها عدد كبير من العلماء والفقهاء والقضاة، الذين قاموا بدورهم الملحوظ فى تنشيط الحركة العلمية فى أرجاء الدولة [٦٢].

وبالإضافة إلى هذه الكلية بأقسامها المختلفة أنشئت مدارس عالية تعرف بمدارس القصر، وهى قصر الفاتح القديم باستانبول وقصر طوب قبو وقصره فى أدرنة. حيث تخرج عدد كبير من وزراء الدولة وقواد الجيش وكبار الإداريين، إذا كانت العناية موجهة فى هذه المدارس إلى تعليم اللغات والآداب وفنون الإدارة والحرب والتربية العسكرية[٦٣].

ومع بداية ظهور مدارس الفاتح ظهر عهد جديد فى الحياة العلمية عند العثمانيين، وجرى تنظيم المدارس من جديد ضمن تصنيف تدريجى معين تبعاً لمقدار الأجر اليومى الذى يحصل عليه المدرس الذى يتولى التدريس فيها وتبعاً للكتاب الأساسى اللازم للتدريس فيها. وتشترط الوقفية التى أعدها الفاتح لأول مرة فيمن سيتولى التدريس فى تلك المدارس أن يكون من المتبحرين فى العلوم الدينية والعلوم العقلية (كالفلسفة والمنطق والرياضيات)، كما تشير الوقفية إلى أن أسس تلك المدارس أقيمت على قواعد الحكمة، وارتكزت على القواعد الهندسية وهنا ظهر الفرق واضحاً بين هذه المدارس وما سبقها. ويرجع الفضل فى النهوض بتلك المدارس إلى العالم على قوشجى (ت ٨٧٩هـ / ١٤٧٤-١٤٧٥م) [٦٤] عالم

---

(٦٠) هو صندوق صغير ذو ادراج من غير قوائم يستعمل كمكتب (على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٨٠

(٦١) على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص٨١.

(٦٢) سيد رضوان على، مرجع سابق، ص ٧٧.

(٦٣) المرجع السابق، ص ٧٧-٧٨.

(٦٤) على القوشجى : (ت ٨٧٩هـ / ١٤٧٤-١٤٧٥م) هو على بن محمد القوشجى علاء الدين، فلكى رياضى، من فقاء الحنفية، أصله من سمرقند وأحد رواد مدرسة سمرقند، وعرف باسم قوشجى زاده علاء الدين على بن محمد، ولد فى سمرقند (إحدى مدن اوزبكستان فى آسيا الوسطى) وعرف باسم قوشه زاده [أى ابن مربى الطيور الجارحة الصقور وهو أيضاً يعمل فى وظيفة البوستانجى المشرف على الغابات] ونظراً لأن أباه كان يعمل فى وظيفة (قوشجى) لدى أولوغ بك (ت ٨٥٣هـ/١٤٤٩-١٤٥٠م) ومن ثم نشا على فى بلاط أولوغ بك، وتعلم على أيدى

الرياضيات والفلك، حيث أنه أسهم فى رسم خطوط الوقفية الخاصة بتلك المدارس، ووضع بها الشرط الذى يضمن قيامها بتدريس العلوم العقلية إلى جانب العلوم الدينية(٦٥).

وقد نص قانون نامة السلطان محمد الفاتح فى تعيين المدرسين على أن تخضع درجات المدارس لما يتقاضاه مدرسوها من أجر يومى يبدأ من ٢٠ أقجة ثم يزيد خمس أقجات ليصبح خمساً وعشرين أقجة، ثم ثلاثين، ثم خمساً وثلاثين، ثم أربعين، ثم خمساً وأربعين، حتى يصل إلى خمسين آقجة، وكانت تذكر المدارس الخمسينية بأسماء ثلاثة مختلفة هى " الداخل " و"الخارج " و" الصحن " ويعتبر مدرسو مدارس الصحن، أى الذين يتولون التدريس فى المدارس الثمانى ذات المستوى العالى فى كلية الفاتح من كبار العلماء، وتأتى مرتبتهم فى التشريفات الرسمية (البروتوكول) قبل أمراء السناجق (٦٦).

=العلماء الذين كانوا فى البلاط، وعلى رأسهم قاضى زاده البرسوى وجمشيد الكاشى، ورحل على بعد ذلك إلى كرمان ثم عاد بعدها إلى سمرقند، ولما توفى قاضى زاده أحتل مكانه على رأس مرصد سمرقند. وعقب وفاة أولوغ بك غادر على قوشجى سمرقند متوجها إلى تبريز ومنها أرسله حسن الطويل سفيراً إلى استانبول، وهنا طلب منه السلطان الفاتح البقاء فى استانبول، فوعده على قوشجى أن يعود إليها بعد استكمال مهمة السفارة التى يقوم بها. ولما أقترب موعد وصوله أرسل السلطان محمد الفاتح هيئة من العلماء على رأسها خوجه زاده قاضى المدينة لإستقباله هو ومن معه وزادت علاآقته بخوجه زاده بان زوج على قوشجى إحدى بناته لابن خوجه زاده. وتم تعيين على قوشجى مدرساً على مدرسة " آيا صوفيا " وقضى فى استانبول عامين أو ثلاثة فى اخر حياته وتوفى فيها. وله من المؤلفات الكثير فى علم الفلك والرياضيات وعلم المساحة والهندسة. (لمزيد من التفاصيل انظر : طاشكيرى زاده، الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية، (ت ٩٦٨هـ) دار الكتاب العربى، بيروت ـ لبنان، ١٩٧٥، ص٩٧، خير الدين الزركلى، الاعلام، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠ م، ج٥، ص ٩، أكمل الدين إحسان أوغلى، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج٢، ص ٦١٤-٦١٦).

(٦٥) أكمل الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٥٧-٤٥٨ .

Hüseyin Atay ،Osmanlılarda yüksek din eğitimi ،Dergâh Yayınları ،1983 ، p. 120-128.

(٦٦) أكمل الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٥٨. على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ١٨٦.

مدرسة الأندرون " اندرون مكتبى ":

وهى مدرسة تعليمية أنشئت بداخل القصر السلطانى عقب استيلاء السلطان مراد الأول على مدينة أدرنة، ثم عمل مراد الثانى ومحمد الفاتح وبايزيد الثانى على تطويرها، حتى تتحول إلى ما يشبه معهد علمى تدريبى داخل السراى العثمانى وظلت مدارس الأندرون تؤدى رسالتها سنين عديدة فتخرج فيها عدد لا يحصى من القواد ورجال الدولة والادارة والصناعة[٦٧] الذين تقرر لهم تولى شئون الادارة فى الامبراطورية. وهذا النظام من المدارس تشكل فى اطار ضيق يختلف كثيراً عن المدرسة العادية فى الهدف وأسلوب التكوين ونوعية البشر الذين يقوم على تنشئتهم، والوظيفة التى يمارسونها فى الدولة والمجتمع رغم ارتكاز النظامين على أساس فكرى واحد ولا سيما للسراى العثمانى، ومن ثم فقد تطورت تحت تأثير المؤسسة السياسية أكثر من غيرها[٦٨].

وكان النظام المتبع فى الدولة العثمانية هو أن يجرى جمع الصبية من أبناء العائلات المسيحية ويوضعوا تحت رعاية العائلات التركية المسلمة لتربيتهم، ثم يؤخذوا شباناً إلى السراى وثكناته لتلقيهم التعليم المناسب، وكانوا يدرسون فى الأندرون اللغة الفارسية والبلاغة والشعر والفلسفة والتاريخ والرياضيات والجغرافيا وغيرها، إلى جانب العلوم النقلية والعقلية التى تدرس فى المدارس الأخرى، كالقرآن الكريم والحديث والكلام والخط واللغة العربية، ويمكن القول بأن التعليم فى مدرسة الأندرون نظام تطبيقى للمهارات والفنون والمعارف الادارية والسياسية المختلفة.

وعلى هذا النحو تولت مدرسة الأندرون تنشئة القسم الأعظم من صفوة الرجال الذين شغلوا الوظائف الادارية فى الدولة العثمانية حتى نهايتها، وقد ظلت تلك المدرسة على وظيفتها دون تغيير حتى أوائل القرن التاسع عشر، ثم لم تلبث بعد ذلك أن تخلت عن تلك الوظيفة للمدارس الحديثة التى أقيمت على الطراز الغربى[٦٩].

---

(٦٧) على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ١٦٥. كمل الدين إحسان أوغلى، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مجلد٢، ص ٧٧١.

(٦٨) أكمل الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ج٢ و ص ٤٤٨-٤٤٩.

(٦٩) أكمل الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ج٢، ص ٤٧٣-٤٧٤، ٧٧١.

ثالثا: دور العلماء فى حياة السلطان محمد الفاتح:

حظيت العلوم عند العثمانيين بتشجيع كبير من حكامهم، وكان التطور الذى طرأ على هذا النشاط المتزايد قد وقع فى عهد السلطان محمد الفاتح الذى اهتم اهتماماً كبيراً عظيماً بالعلم والفلسفة، والثقافة، وشمل رجال العلم فى العالم الإسلامى بحمايته، وكان هم الفاتح قبل كل شئ أن تصبح استانبول مركزاً أول للعلم والثقافة فى العالم الاسلامى، كما أصبحت مركزاً للدولة العثمانية وعاصمتها، فشرع فى تنفيذ ما عزم عليه داعياً إليها رجال العلم بشتى الوسائل[٧٠].

كان السلطان الفاتح شديد الاحترام للعلماء ورجال الدين والمتعلمين بصفة عامة، وكان يدرك بفطنته أن القوة المادية والحربية لا تكفل وحدها للشعب السعادة والمجد والاحتفاظ بالمكاسب العسكرية والسياسية، وأنه لابد من دعمها بقوة العلم والايمان والعدل، ولذلك كان يعمل دائباً وبجهد حقيقى ليجعل من دولته موطناً للعلم ومجمعاً للعلماء والشعراء ومركزاً للعدالة [٧١].

تلقى الفاتح فى حياة والده العلوم الاسلامية من كبار الأساتذة مع سائر العلوم والمعارف التى تطلبها ادارة الدولة، وعرف كيف يتحمل تبعات الحكم وينهض بأعباء الملك ودرس سياسة الدولة الداخلية والخارجية[٧٢]. وعنى السلطان مراد الثانى بتعليمه عناية بالغة تحت اشراف أساتذة على مستوى رفيع من العلم والخلق[٧٣]. ومن أهم معلمى ومؤدبى الفاتح العالم الرباني الملا [٧٤] " أحمد بن اسماعيل الكورانى " [٧٥](ت ٩٨٤هـ /١٥٧٦م)

---

(٧٠) أكمل الدين إحسان أوغلى، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، مجلد٢، ص٦١٣. محمد نامق كمال، فاتحة الفتوحات العثمانية، ص٣١.

(٧١) عبد السلام عبد العزيز فهمى، مرجع سابق، ص ١٥٥.

(٧٢) على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٣٢.

(٧٣) على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٣٠. عبد السلام عبد العزيز فهمى، مرجع سابق، ص ٣١.

(٧٤) الملا : هى تحريف لكلمة " المولى " العربية بمعنى السيد ويطلق هذا اللقب على علماء الدين الاسلامى فى الأقطار غير العربية مثل تركيا وايران وباكستان وافغانستان كما يطلق على قضاة استانبول الاربعة (انظر : برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الاسلامية، ص ١٤٤، ح ١٣٦).

(٧٥) الملا أحمد الكورانى : أحمد الكورانى: هو الامام العلامة شهاب الدين الكورانى، الشافعى ثم الحنفى، ولد سنة ٨١٣هـ / ١٤١٠ م و (ت ٨٩٤هـ /١٥٧٦م) ودأب فى فنون العلم، حتى فاق فى المعقولات، والمنقولات،

الذي كان مشهودا له بالفضيلة التامة. وكان محمد الفاتح فى ذلك الوقت أميراً على بلدة مغنيسيا [٧٦] وقد أرسل إليه والده عدداً من المعلمين ولم يمتثل أمرهم ولم يقرأ لهم شيئاً، حتى أنه لم يختم القرآن الكريم، فطلب السلطان المذكور (مراد الثانى) والد محمد الفاتح رجلاً مهابة وحدة، فذكروا له المولى " الكورانى " فجعله معلماً لولده [٧٧]، وذكر عن الملا الكورانى انه: كان عالماً فقيهاً، شهد له علماء عصره بالتفوق والاتقان، وفاق أقرانه فى العلوم النقلية والعقلية، ومهر فى النحو والمعانى والبيان، وبرع فى الفقه واشتهر بالفضيلة. ثم اضاف أيضا: كان الفاتح يسميه: " أبا حنيفه زمانه " وتشير الروايات التاريخية إلى أن الملا الكورانى استطاع أن يحبب الأمير محمداً فى العلم، وأن يُقبِل بالفتى الأمير على التعليم بفهم وجد ونشاط، فما مضى غير قليل من الوقت حتى ختم القرآن[٧٨].

وكذلك تعلم على يد العالم الشيخ "آق شمس الدين" عالم الطب ومكتشف

= واشتهر بالفضيلة، ودخل القاهرة ورحل إلى الروم، وصادف من ملكها السلطان مراد خان الحظوة، فاتفق أنه مات وهو هناك الشيخ شمس الدين الفنرى، فساله السلطان ان يتحنف، ففعل الشيخ الكورانى وأصبح مشار إليه فى المملكة الرومية، وألف للسطان محمد الثانى قصيدة فى علم العروض، ستمائة بيت " الشافية فى علم العروض والقافية " وأصبح الشيخ الكورانى مؤدبا للسلطان محمد الفاتح (انظر: تقى الدين بن عبد القادر التميمى الدارى الغزى المصرى الحنفى (ت ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م)، الطبقات السنية فى تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، لجنة احياء التراث الاسلامى ٣ اجزاء، القاهرة، ١٩٧٠، ج ١، ص ٣٢٢– ٣٢٦.) وذكرت إحدى الروايات أن " قام السلطان مراد الثانى بإعطاء قضيبا للمولى الكورانى يضرب به ابنه (محمد الفاتح) إذا خالف أمره، فذهب إليه، فدخل عليه والقضيب فى يده فقال : أرسلنى والدك من أجل تعليمك وضربك إذا خالفت امرى، فضحك السلطان محمد من هذا الكلام، فضربه المولى " الكورانى " فى ذلك المجلس ضربا شديدا حتى خاف منه السلطان محمد وختم القرآن فى مدة يسيرة ففرح بذلك السلطان مراد وارسل إلى المولى " الكورانى " أموالا عظيمة وأغدق عليه بالعطايا. (انظر: طاشكيرى زاده، الشقائق التعمانية فى علماء الدولة العثمانية، دار الكتاب العربى، بيروت . لبنان، ١٩٧٥، ص٥٢).

(٧٦) بلدة مغنيسيا : معنيسيا مدينة تاريخية بالاناضول، الحقت بالدولة العثمانية فى عهد السلطان بايزيد الأول الملقب بيلديرم (أى الصاعقة) وأصبحت بعد ذلك مقرا لإقامة الأمراء العثمانيين، فأقام بها السلطان مراد الثانى ونجله محمد الفاتح والسلطان مراد الثالث وغيرهم، وقد اكتشف معدن " المغناطيس " بجوارها فسمى باسمها (انظر : على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٣٠، ح٣).

(٧٧) طاشكيرى زاده، الشقائق التعمانية فى علماء الدولة العثمانية، ص٥٢. على محمد الصلابى، محمد الفاتح، ص١٠٦– ١٠٧.

(٧٨) محمد مصطفى صفوت، مرجع سابق، ص ١٨٨، عبد السلام عبد العزيز فهمى، مرجع سابق، ص ٣٢.

الميكروب الذي اهتم بتدرّيس محمد الفاتح العلوم الأساسية في ذلك الزمن، وهي القرآن الكريم والسنة النبوية والفقه والعلوم الإسلامية واللغات العربية، والفارسية والتركية، وكذلك في مجال العلوم العلمية من الرياضيات والفلك والتاريخ وفنون الحرب، وكان الشيخ آق ضمن العلماء الذين أشرفوا على السلطان محمد عندما تولى إمارة "أماسيا" ليتدرب على إدارة الولاية، وأصول الحكم. واستطاع الشيخ آق شمس الدين أن يغرس فى نفس السلطان محمد الأمل الكبير فى تحقيق نبوءة النبى الكريم محمد ρ وبأنه المقصود بالحديث النبوي الشريف: "لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش" [٧٩].

وكان السلطان محمد الفاتح يكن لأستاذه الشيخ " آق شمس الدين " مشاعر الحب والإجلال والتوقير، ويزوره على الدوام حيث يستمع لأحاديثه ونصائحه ويستفيد من علمه الغزير، وكان أستاذه هذا مهيباً لا يخشى سوى الله لذا فإنه عند قدوم السلطان محمد الفاتح لزيارته لا يقوم له من مجلسه، ولا يقف له. أما عند زيارته للسلطان " محمد الفاتح " فقد كان السلطان يقوم له من مجلسه توقيراً له، واحتراماً ويجلسه بجانبه[٨٠].

هكذا كان هذا العالم الجليل الذي حرص على تربية محمد الفاتح على معاني الإيمان والاسلام والإحسان، ولم يكن هذا الشيخ متبحراً في علوم الدين والتزكية فقط، بل كان عالماً في النبات والطب والصيدلة، وكان مشهوراً في عصره بالعلوم الدنيوية وبحوثه في علم النبات ومدى مناسبتها للعلاج من الأمراض. وبلغت شهرته في ذلك أن أصبح مثلاً بين الناس يقول: (إن النبات ليحدث آق شمس الدين [٨١]. وقال الشوكاني عنه: (...وصار مع كونه طبيباً للقلوب طبيباً للأبدان فإنه اشتهر أن الشجرة كانت تناديه وتقول: أنا شفاء من المرض الفلاني ثم اشتهرت بركته وظهر فضله...) [٨٢].

---

(٧٩) مسند الامام أحمد بن حنبل، المكتب الاسلامي، بيروت ,١٤١٣هـ (ج ٤/ ص٤٥١). نهرو محمد الكسنزان و مرجع سابق، ص ٣٤.

(٨٠) ا.اورخان محمد على، روائع من التاريخ العثمانى، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر . المنصورة، ٢٠٠٧، ص٤٨. نهرو محمد الكسنزان، مرجع سابق، ص٣٤.

(٨١) محمد حرب، العثمانيون فى التاريخ والحضارة، المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى، سلسلة دراسات عثمانية (١)، القاهرة، ١٩٩٤، ص ٢٦٩-٢٧٠.

(٨٢) محمد بن على الشوكانى، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الاسلامى، القاهرة، د.ت، ج٢ ،، ص ١٦٦- ١٦٧. محمد بن عبد الوهاب المكناسى، رحلة المكناسى، ص ٨٠.

وكان الشيخ يهتم بالأمراض البدنية قدر عنايته بالأمراض النفسية. واهتم الشيخ آق شمس الدين اهتماماً خاصاً بالامراض المعدية، فقد كانت هذه الامراض في عصره تسبب في موت الآلاف، وألف في ذلك كتاباً بالتركية بعنوان "مادة الحياة" قال فيه:(من الخطأ تصور أن الأمراض تظهر على الاشخاص تلقائياً، فالأمراض تنتقل من شخص الى آخر بطريق العدوى. هذه العدوى صغيرة ودقيقة الى درجة عدم القدرة على رؤيتها بالعين المجردة. لكن هذا يحدث بواسطة بذور حيّة). وبذلك وضع الشيخ آق شمس الدين تعريف الميكروب في القرن الخامس عشر الميلادي. وهو أول من فعل ذلك، ولم يكن الميكروسكوب قد خرج بعد. وبعد أربعة قرون من حياة الشيخ آق شمس الدين جاء الكيميائي والبيولوجي الفرنسي لويس باستير ليقوم بأبحاثه وليصل الى نفس النتيجة[٨٣].

واهتم الشيخ آق شمس الدين أيضاً بالسرطان وكتب عنه وفي الطب ألف الشيخ كتابين هما: (مادة الحياة)، و(كتاب الطب)، وهما باللغة التركية والعثمانية. وللشيخ باللغة العربية سبع كتب، هي: حل المشكلات، الرسالة النورية، مقالات الأولياء، رسالة في ذكر الله، تلخيص المتائن، دفع المتائن، رسالة في شرح حاجي بايرام ولي [٨٤]. وبعد ذلك عاد الشيخ الى موطنه كونيوك بعد أن أحس بالحاجة الى ذلك، رغم إصرار السلطان على بقائه في استانبول ومات عام ٨٦٣هـ/ ١٤٥٩م، فعليه من الله الرحمة والمغفرة والرضوان.

وقد ذكر الشوكاني في البدر الطالع أن الشيخ شمس الدين ظهرت بركته وظهر فضله، وأنه حدد للسلطان الفاتح اليوم الذي تفتح فيه القسطنطينية على يديه[٨٥]، وقد اهتدى الشيخ آق شمس الدين بعد فتح القسطنطينية إلى قبر الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري[٨٦] بموضع قريب من سور استانبول (القسطنطينية)[٨٧].

---

(٨٢) محمد حرب، العثمانيون فى التاريخ والحضارة، ص ٢٧٠. نهرو محمد الكسنزان، ص ٣٨.

(٨٤) محمد حرب، مرجع سابق، ص٢٦٩-٢٧٠.

(٨٥) محمد بن على الشوكانى، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، ص ١٦٦- ١٦٧.

(٨٦) أبى أيوب الأنصارى : هو خالد بن زيد بن كليب بن ثعلبة ابو ايوب الانصارى النجارى، من بنى غنم بن مالك بن النجار، غلبت عليه كُنية امه هند بنت سعد بن عمر بن امرئ القيس بن مالك بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الاكبر، شهد العقبة وبدرا وسائر المشاهد، وعليه نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى خروجه من بنى عمرو بن عوف حين قدم المدينة مهاجرا من مكة و فلم يزل عنده حتى بنا مسجده فى تلك السنة وبنا مساكنه و ثم انتقل صلى الله عليه وسلم إلى مسكنه، وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين مصعب بن عمير. =

وإلى جانب ولعه بالفلسفة وما وراء الطبيعة يهتم أيضا بعلم الفلك والرياضيات، ولعل ذلك هو الذى جعله يقوم بتعيين الرياضى والفلكى الشهير " على قوشجى " مدرساً على مدرسة آيا صوفيا براتب يومى قدره مائتا آقجة، ويأمر بتنظيم المناظرات العلمية فى مجلسه، ويشجع رجال العلم الأتراك للسجال فى ذلك الموضوع(٨٨). وممن تتلمذ له محمد الفاتح أيضا الشيخ " ابن التمجيد " وكان إلى جانب صلاحه وتقواه شاعراً حسن النظم بالعربية والفارسية (٨٩)، ومنهم أيضاً الشيخ خير الدين والشيخ سراج الدين الحلبى فى الشعر(٩٠).

هذه التربية الإسلامية الصادقة، وهؤلاء المربون الأفاضل، وخاصة هذا العالم المولى " أحمد الكورانى "الفاضل الذى كان يمزق الأمر السلطانى إذا وجد به مخالفة للشرع ولا ينحنى للسلطان، بل يخاطبه باسمه ويصافحه ولا يقبل يده، بل كان السلطان يقبل يد المولى " الكورانى " وهذا جعل منه سلطاناً مسلماً مؤمناً ملتزماً بحدود الشريعة، مقيداً بالأوامر والنواهى معظماً لها ومدافعاً عن إجراءات تطبيقها على نفسه أولاً ثم على رعيته، تقياً صالحاً يطلب الدعاء من العلماء العاملين الصالحين(٩١).

كما نجد أيضاً أن السلطان محمد الفاتح درج منذ صباه على إشباع نهمه من العلم والاستزادة من مختلف الثقافات، وقد اختار من العلماء البارزين "خواجه زاده (ت ٨٩٣هـ)(٩٢) " و" ابن الخطيب (٩٠١هـ)" (٩٣)، مدرسين له وقرأ عليهما ما شاء من كتب

=واستمر أبى أيوب بقربه من الرسول والصحابة وخاض معهم الحروب كلها و ثم مات باستانبول (القسطنطينية) من بلاد الروم فى زمن معاوية بن ابى سفيان فى إحدى الغزوات وكان ذلك سنة ٥٠هـ وقيل سنة ٥١هـ (انظر : محمد بن عبد الوهاب المكناسى، رحلة المكناسى، ص ٨٢–٨٣).

(٨٧) على محمد الصلابى، السلطان محمد الفاتح، ص١٤٢.

(٨٨) أكمل الدين إحسان أوغلى، الدولة العثمانية، ج٢، ص ٥٠.

(٨٩) طاشكيرى زاده، الشقائق التعمانية فى علماء الدولة العثمانية ، ص ٦٢، عبد السلام عبد العزيز فهمى، مرجع سابق، ص ٣٣. نهرو محمد الكسنزان و مرجع سابق، ص٢٦.

(٩٠)عبد السلام عبد العزيز فهمى، مرجع سابق، ص ٣٣. نهرو محمد الكسنزان، مرجع سابق، ص ٢٦.

(٩١) على حسون، تاريخ الدولة العثمانية، ص٤٣.

(٩٢)خواجه زاده: هو مصطفى مصلح الدين بن يوسف بن صالح البرموى الشهير بخواجه زاده (أى ابن المعلم) من كبار العلماء الذين ظهروا فى الدولة العثمانية وموضع فخر الشعب التركى، فقد ولد فى بورصة، قرأ عند المولى محمد أيا ثلوغ (وهو من علماء عهد السلطان مراد الثانى وكان يعرف بچلبى أيا ثلوغ) الأصلين والمعانى والبيان ثم =

السلف وأطلع أيضاً على مؤلفات العلماء المعاصرين وبحث آراءهم بدقة ونقدها نقداً علمياً[٩٤]. وكلف خوجه زاده وعلاء الدين الطوسى(٨٧٧هـ / ١٤٧٣م) [٩٥] بعمل مقارنة بين كتابى " التهافت [٩٦] " للغزالى[٩٧] وابن رشد[٩٨]، وجعل كلا منهما يكتب فى ذلك كتاباً،

= وصل إلى خضر بك وهو مدرس بالمدرسة السلطانية فى بروسه فعين مساعدا له فاتم دراسته، وكان خضر بك يجله ويقدره تقديرا عظيما ومتى حدثت مشكلة علمية كان يقول : " ارجعوا إلى العقل السليم " يعنى به صاحب الترجمة وقد فاز رحمه الله بتقدير الفاتح وعطفه فى ظروف مختلفة ومناسبات شتى فأتخذه مدرسا لتفسه وأسندإليهاعملاً هامة وعينه قاضى عسكر الاناضول بعد المولى خسرو ثم قاضى استانبول وولى التدريس فى مدارس مختلفة، وألف بامر السلطان كتابه القيم " تهافت الفلاسفة " فقوبل بتقدير وإعجاب فى كل مكان وله مؤلفات قيمة، توفى إلى رحمة الله تعإلى سنة ٨٩٣هـ / ١٤٨٧م ودفن فى ضريح بالقرب من مدرسة أمير سلطان فى بروسة (انظر :على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٤٠، ح ١. أكمل الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٢٢-٦٢٣).

(٩٣) ابن الخطيب : هو محمد محيي الدين الشهير بابن الخطيب قرا على والده المولى تاج الدين ابراهيم المدفون بمدينة (أزنيق) والطوسى وخضر بك. كان عالما كبيراً طلق اللسان جرئ قوياً على المحاورة فصيحاً عند المباحثة والمناقشة وكان عنده من الغرور وخشونة الطبع ما لا يتفق وما يجب أن يتصف به أهل العلم من التواضع ولين الجانب حتى أنه بسبب غروره قد افتى بإهدار دم عالم جليل مثل المولى لطفى التوقاتى، وله مؤلفات قيمة، وقد شرع فى التعليق على شرح الوقاية لصدر الشريعة ولم يتمه، توفى سنة ٩٠١هـ / ١٤٩٥م ودفن بالقرب من ضريح على القوشجى بمقبرة ابى أيوب الأنصارى باستانبول (انظر :على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٤٠، ح ٢). مدينة أزنيق : بلدة صغيرة جنوب بحر مرمرة جانب بحيرة ازنيق(على حسون، مرجع سابق، ص ١٤).

(٩٤) على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٤٠.

(٩٥) علاء الدين الطوسى : علاء الدين على بن محمد الطوسى البناركاتى، حكيم من فقهاء الحنفية، من أهل سمرقند، أقام زمناً فى استانبول، أكرمه السلطان مراد الثانى ثم ابنه السلطان محمد الثانى، ورحل إلى تبريز ومنها إلى ما وراء النهر، ومات فى سمرقند، من كتبه " الذخيرة فى المحاكمة بين كتابى تهافت الفلاسفة للغزإلى والحكماء لابن رشد " و " حاشية على التلويح للتفتازانى فى الاصول " و " حواشى على شرح الموآقف " وغيرها من الكتب العربية والفارسية (انظر : طاشكيرى زاده، الشقائق التعمانية فى علماء الدولة العثمانية ، ص ٦٠، خير الدين الزركلى، الاعلام، ج٥، ص٩)

(٩٦) التهافت : يعنى التناقض أى تناقض الفلاسفة، يعنى تناقض أفكارهم وتعارضها وتساقطها أى تناقض يؤدى على هوان الفكر الموصوف به وسخفه وحقارته، وقصد الغزالى من هذا الكتاب هو توضيح تناقض الفلاسفة فى مسائل العلم الالهى، وبعض مسائل العلم الطبيعى (للمزيد من التفاصيل انظر : ابو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد (٥٩٥هـ)، تهافت التهافت، تحقيق دكتور سليمان دنيا، سلسلة ذخائر العرب (٣٧) دار المعارف، القسم الأول، الطبعة الأولى، ١٩٦٤، ص ١٥-١٧).

وواظب من ناحية أخرى على سماع المناظرة التى جرت فى مجلسه ستة أيام كاملة بين خوجه زاده ومحمد زيرك[٩٩] فى الفلسفة والكلام[١٠٠].

---

(٩٧) الغزإلى: هو أبو حامد محمد الغزّالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الاشعري، أحد أهم اعلام عصره واحد أشهر علماء المسلمين في التاريخ، ومجدّد علوم الدين الاسلامي في القرن الخامس الهجري،(٤٥٠ هـ – ٥٠٥ هـ / ١٠٥٨م – ١١١١م). كان فقيها وأصوليا وفيلسوفا، وكان صوفيّ الطريقةِ، شافعيّ الفقهِ إذ لم يكن للشافعية في آخر عصره مثلَه. ، وكان سنّيّ المذهب على طريقة الأشاعرة في العقيدة، وقد عُرف كأحد مؤسسي المدرسة الاشعرية السنّيّة في علم الكلام، واحد أصولها الثلاثة بعد أبي الحسن الأشعري، (وكانوا الباقلاني والجويني والغزّالي). لُقّب الغزالي بالقاب كثيرة في حياته، اشهرها لقب "حجّة الاسلام"، وله أيضاً القاب مثل: زين الدين، ومحجّة الدين، والعالم الأوحد، ومفتي الامّة، وبركة الأنام، وإمام ائمة الدين، وشرف الائمة. كان له أثرٌ كبيرٌ وبصمةٌ واضحةٌ في عدّة علوم مثل الفلسفة، والفقه الشافعي، وعلم الكلام، والتصوف، والمنطق، وترك عشرات الكتب في تلك المجالات. ولد وعاش في طوس، ثم أنتقل إلى نيسابور ليلازم أبا المعالي الجويني (الملقّب بامام الحرمين)، فاخذ عنه معظم العلوم، ولمّا بلغ عمره ٣٤ سنة، رحل إلى بغداد مدرّسا في المدرسة النظامية في عهد الدولة العباسية بطلب من الوزير السلجوقي نظام الملك. في تلك الفترة اشتُهر شهرةً واسعةً، وصار مقصدا لطلاب العلم الشرعي من جميع البلدان، حتى بلغ أنه كان يجلس في مجلسه اكثر من ٤٠٠ من أفاضل الناس وعلمائهم يستمعون له ويكتبون عنه العلم. تجول فى مدن كثيرة و عاد بعدها إلى بلده طوس متخذا بجوار بيته مدرسةً للفقهاء، وخانقاه (مكان للتعبّد والعزلة) للصوفية. (انظر : الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى، سير اعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، سورية ــ دمشق، ٢٤ جزء، ٢٠٠١، ج١٩، ص ٣٢٢).

(٩٨) ابن رشد : هو محمد بن احمد بن محمد بن احمد بن رشد الشهير (بأبى الحفيد) ولد سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م. عالم مسلم ولد بقرطبة بالأندلس ,كان والده قاضي قرطبة وكان جده قاضي قضاة الأندلس. ودرس القرآن والفقه والطب والفلسفة. أُسند إليه القضاء في اشبيلية، ثم صار قاضي قضاة قرطبة. وبعد وفاة ابن عقيل، الطبيب والفيلسوف المعروف، استوزره أبو يعقوب بن عبد المؤتمن، لكن الوشاة والحساد أوغروا صدر ابن أبي زيد عليه، فأمر بمحاكمته وإحراق كتبه بتهمة الكفر. وقد نفي ابن رشد حوالي سنة، ثم صدر العفو عنه. لكنه عزف عن الحياة السياسية والاجتماعية. مات في مراكش سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م ودفن فيها ثم نقل رفاته إلى قرطبة. (ابو العباس ابن أبى أصيبعة (ت ٦٨٨هـ)، عيون الانباء فى طبقات الاطباء، تحقيق دكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ٢٠١٠م، ص ٤٧٨ ,(القاضى ابى الوليد محمد بن رشد (٥٩٥هـ)، تهافت التهافت، القسم الأول، ص ٧).

(٩٩) محمد زيرك : هو العالم الفاضل المولى محمد الشهير بزيرك تعلم على يد الشيخ الجاح بيرام وهو من اطلق عليه زيرك وعمل مدرسا بمدرسة السلطان مراد غازى بمدينة بروسه، ثم نقله السلطان محمد الفاتح إلى استنابول وعينه باحدى المدارس عند فتح استانبول قبل بناء مدارس الثمانية وصرف له كل يوم خمسين درهما، وكان اشتغاله بالعباده اكثر من اشتغاله بالعلم، وحدث خلاف بينه وبين المولى خسرو وخواجه زاده انتقل بعدها إلى بروسة واستوطن بها حتى توفى (انظر: طاشكيرى زاده، الشقائق النعمانية فى علماء الدولة العثمانية ، ص ٧٤–٧٦.)

وكان الفاتح يعنى بمطالعة كتب التاريخ ويدرس حياة كبار الملوك والأبطال وفتوحاتهم، لذلك أصبح عالماً كبيراً فى العلوم الشرعية، ومحباً لسائر العلوم والفنون كالموسيقى والرسم ويتذوق الأدب والشعر، ولم يكن يخلو من درس الفلسفة وعلم الفلك بعناية خاصة من حين إلى حين [١٠١].

وكانت حياته بسيطة جداً، وكانت هوايته فى قراءة الكتب والتدريب على فن القتال، وإذا وجد متسعاً من الوقت خرج للصيد والطراد، وكان عزوفاً عن الشهوات والملذات ومجتنباً عن المنكرات وكانت مائدته تمتاز بالبساطة والخلو من الندماء والمشروبات الروحية بأنواعها وكان يكره الاختلاط المبتذل ويعيش فى عالم نفسه إما فى جو علمى أو فى ميدان الجهاد والقتال [١٠٢].

كما قرَّب إليه العلماء ورفع قدرهم، وكان يكرمهم غاية الإكرام ولو كانوا من خصومه؛ وكان السلطان محمد الفاتح لا يسمع عن عالم في مكانه أصابه عوز وإملاق إلا بادر إلى مساعدته وأغدق عليه. ولقد اهتم السلطان محمد الفاتح بترتيب وظائف العلماء في الجوامع الكبرى ووضع لها تقاليد سابقة ونظمها بمرسوم خاص واهم الوظائف في المساجد الكبرى: الخطيب والإمام ، والقيم والمؤذن ويقوم المرشحون لهذه الوظائف بطلب العلم في المدارس الدينية الكبيرة التي كثيراً ما كان السلاطين والوزراء يتنافسون على تشييدها تنافساً نبيلاً ويخضع الموظفون الدينيون في العاصمة لسلطة المفتي مباشرة ولكان ينوب عنه في الولايات الكبرى قضاة العسكر؛ أما في الولايات الصغرى فكان الإمام يقوم بكافة المهام الدينية وخاصة في الأرياف [١٠٣].

---

(١٠٠) أكمل الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ج٢، ص ٦١٣-٦١٤.

(١٠١)على همت بركى الآقسكى، المرجع السابق، ص٢٣. نهرو محمد الكسنزان، مرجع سابق، ص ٢٧.

Halil Inalcik ،The middle east and the Balcans under the Ottoman Empire ،essays on economy and Society ،Indiana university Turkish Studies and Turkish Ministry of culture Joint Series ،Bloomington,1954,p.420.

(١٠٢) على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٢٣.

(١٠٣) نهرو محمد الكسنزان، مرجع سابق، ص ٤٤.

وكان من عادته في شهر رمضان أن يأتي إلى قصره بعد صلاة الظهر بجماعة من العلماء المتبحرين في تفسير القرآن، فيقوم في كل مرة واحدٌ منهم بتفسير آيات من القرآن الكريم، ويناقشه في ذلك سائر العلماء ويجادلونه، وكان السلطان يشارك في هذه المناقشات ويشجع هؤلاء بالعطايا والهدايا ومن الزعماء المعنويين والمرشدين والعلماء الكبار فى عهده " الملا خسرو(ت ٨٦٣هـ / ١٤٥٨م)[١٠٤] "و" العالم أحمد الكورانى "و" الملا محمد زيرك " و" آق شمس الدين(٨٦٣هـ/١٤٥٨م)[١٠٥] ".

---

(١٠٤) الملا خسرو : هو محمد بن فراموز الشهير بالمولى خسرو ويقال كان والده رجلا رومى الاصل او فرنسيا اعتنق الاسلام، وتوفى والده وهو صغير فنشأ فى كنف زوج اخته المسمى " خسرو بك " أحد أمراء العثمانيين فعرف بأخى زوجة الأمير خسرو ثم اختصر الاسم بكثرة الاستعمال فقيل خسرو. تلقى العلوم كلها من المولى برهان الدين حيدر الهروى من تلاميذ سعد الدين التفتازانى فعين مدرسا لمدرسة " شاه ملك " بادرنة ثم قاضيا للعسكر، ولما توفى المولى خضر بك سنة ٨٦٣هـ / ١٤٥٨م، ولاه السلطان محمد الفاتح قضاء استانبول مضافاً إليه قضاء غلطه واسكدار من ضواحى استانبول مع التدريس بمدرسة آيا صوفيا، وكان يباشر قضاء استانبول بنفسه وقضاء غلطة واسكدار بواسطة نواب عنه. كما أسند إليه منصب الافتاء الرفيع، وكان بحرا زاخرا عالما بالمعقول والمنقول جامعا للفروع والاصول من تصانيفه" الغرر وشروحه الدرر فى الفقهة " و "مرقاة الاصول وشرحه وحواشيه المطول "كتبها حين كان مدرسا بمدرسة شاه ملك و " حواشى تفسير البيضاوى إلى قوله تعالى سيقول السفهاء " و " رسالة فى الولاء ابدع فيها الفوائد العجيبة ". وكان السلطان محمد الفاتح يجله ويفخر به قائلا " هو ابو حنيفة عهدى " وكان رحمه الله متخلقا بخلق حسن متواضعا يقضى حوائجه بنفسه، توفى سنة ٨٨٥هـ /١٤٨٠م ونقل جثمانه الطاهر إلى مدينة بروسة (بورصة) ودفن بجوار مدرسته (انظر : على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ١٠٢-١٠٣، ح ١).

(١٠٥) آق شمس الدين : هو حمزة بن حمزة الدمشقى الرومى ارتحل مع والده إلى الروم، وطلب فنون العلوم وتبحر فيها وأصبح علما من أعلام الحضارة الاسلامية فى عهدها العثمانى. هو معلم الفاتح ومربية يتصل نسبه بالخليفة الراشد ابى بكر الصديق كان مولوده في دمشق عم ٧٩٢هـ (١٣٨٩م) حفظ القران الكريم وهو في السابعة من عمره، ودرس في اماسيا ثم في حلب ثم في انقرة وتوفي عام ١٤٥٩هـ (انظر : علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص ١٣٩) كما لقب أيضاً أستاذ " مرشد الخاقان " أى السلطان محمد الفاتح وشارك هو واتباعه الدراويش بفاعلية فى فتح ستانبول (القسطنطينية)، وكان رجال الدين والطرق الصوفية يتجولون بين الصفوف يشجعون المقاتلين ويتلون الادعية وينشدون الاشعار والمنظومات الدينية ويرددون الأيات القرانية والأحاديث النبوية التى تحث على الجهاد والقتال فى سبيل الله وكانت اصداء تكبيرات الغزاة الدراويش فى صفوف الجيش التركى التى يتجول بينها استاذا الخاقان (السلطان محمد الفاتح) أى شمس الدين وملا كورانى، والدعاء الذى رددوه عقب صلاة الصبح والخطاب القصير المؤثر الذى القاه البادشاه. ... كان ذلك كله يؤتى ثمرته فيتجسد أمواجا متعاقبة على الأسوار البيزنطية (انظر : محمد بن عبد الوهاب

و" خضر بك (ت ٨٦٣هـ / ١٤٥٨م) [١٠٦] " و " خوجة زاده أفندى " و " الملا شيخ وفاء "(ت ٨٩٦هـ/ ١٤٩٠م) [١٠٧].

ومن العلماء الرياضيين والفلكيين الكبار فى عهد السلطان الفاتح العالم " فتح الله الشروانى "[١٠٨] (ت ٨٩١هـ / ١٤٨٦م) دخل مدرسة سمرقند وأخذ العلم على يدى " قاضى زاده " وفى عهد السلطان مراد الثانى وفد إلى الأناضول، وفى قسطمونى حظى فتح

= المكناسى، رحلة المكناسى (١٧٨٥) تحقيق محمد بوكبوط، دار السويدى للنشر والتوزيع والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣، ص ٨٠، ح ٩٢)

(١٠٦) خضر بك : بن القاضى جلال الدين بن صدر الدين بن حاجى ابراهيم خير الدين الرومى الحنفى أحد علماء الروم ومدرسيهم واعيانهم ولد فى" سفْر يحصار " سنة (٨١٠هـ / ١٤٠٧م) من بلاد الاناضول (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ,الضوء اللامع لاهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، ١٢ جزء، ١٩٩٩، ج٣، ترجمة رقم ٦٩٣، ص ١٧٨) وهو اول قاض تولى القضاء فى استانبول (القسطنطينية) بعد فتحها، قرا مبادئ العلوم على والده وكان قاضيا بها ثم وصل إلى المولى محمد بن أدمغان الشهير بالمولى يگان فتلقى عنه العلوم العقلية والنقلية وبلغ رتبة الكمال وتزوج من ابنته، وكان شديد الذكاء ذا فهم صحيح وعلم غزير وباع ممتد فى النظم والنثر وحصل العلوم الغريبة والفنون العجيبة ولذلك سمى بين العلماء " جراب العلم " وعمل مدرساً فى مدرسة السلطان محمد جلبى فى بروسه وتتلمذ عليه كل من " مصلح الدين الشهير بخواجه زاده " و " شمس الدين الشهير بخطيب زاده " و خير الدين معلم السلطان " وغيرهم، ولما فتح استانبول (ستانبول (القسطنطينية) ولاه قضاءها ومات هناك سنة ٨٦٣هـ / ١٤٥٨م. وله من المؤلفات الكثير منها " نظم العقائد يعرف بالقصيدة النونية " ونظم اخر معروف بالتائبة ادرج فيها ما فى الكتب الضخام من علم الكلام و ويقال انه ترجم كتاب المطالع إلى اللغة الفارسية، وهو الذى ابتكر التاريخ نظما بحساب الجمل. وبرع فى النحو والمعانى والبيان (انظر : على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ١٠١-١٠٢، ح ١).

(١٠٧) الملا الشيخ وفاء : (ت ٨٩٦هـ / ١٤٩٠م) هو الشيخ مصلح الدين مصطفى بن أحمد الصدرى القنوى الشهير بابن الوفاء، أخذ التصوف عن الشيخ مصلح الدين الشهير بامام الدباغين، كانت له معرفة تامة بعلم الموسيقى، وكانت له بلاغة عظيمة فى الشعر والإلقاء وكان يخطب يوم الجمعة وكانت له خطبا بليغة، كان حنفى المذهب، عمل فى خدمة السلطان محمد الفاتح وابنه بايزيد الثانى وحضر إلى استانبول وأقام فيها وله فيها زاوية وجامع وقبر دفن فيه بالقرب من جامعه فى استنابول (انظر : طاشكيرى زاده، الشقائق التعمانية فى علماء الدولة العثمانية، ص ١٤٥-١٤٧. أحمد آق كوندز، سعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة ، ص ١٢٢. يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج١، ص١٨٤.)

(١٠٨)الشروانى : هو فتح الله بن ابى يزيد عبد الله بن عبد العزيز بن ابراهيم الشروانى، تلقى علومه فى سمرقند (مدينة فى أوزبكستان من مدن آسيا الوسطى) (انظر :أكمل الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ج٢، ص ٦١٧).

الله بكرم " چاندر أوغلى اسماعيل بك "(ت ٨٨٤هـ / ١٤٧٩-١٤٨٠م)، فاستقر بها وصار يقوم بتدريس العلم فى مدرستها. وله من المؤلفات " حاشية على شرح الملخص فى الهيئة " وترجع أهمية تلك الحاشية إلى أنها كانت تستخدم للتدريس فى المدارس العثمانية، وله كتاب هام فى الموسيقى عنوانه " مجلة فى الموسيقى" و" حاشية وضعها على شرح أشكال التأسيس" لقاضى زاده فى الهندسة[١٠٩].

وفى مجال الطب ظهر فى عهد الفاتح عدد كبير من مشاهير الأطباء منهم آلتونى زاده[١١٠] و"حكيم عرب " الذى عمل طبيباً للسراى فى نفس الوقت أيام الفاتح وبايزيد الثانى، و"حكيم لارى " ويعقوب باشا (ت٨٨٦هـ/ ١٤٨١-١٤٨٢م) وكانوا أحد طبيبين عالجا السلطان الفاتح وهو على فراش الموت [١١١].

وهناك طبيب آخر ظهر آنذاك هو " حكيم بشير جلبى " الذى كان شاعراً ومؤرخاً فى الوقت نفسه، وكتابه كان يعرف باسم " مجموعة الفوائد " وقد وضعه على ثلاثين فصلاً وأهم ما يميزه أنه اقتصر على موضوع خاص دون غيره فتحدث عن الأمراض الباطنة وحدها، وضمن الفصل الأخير منه قائمة أبجدية بأسماء العقاقير [١١٢].

وظهر أيضاً المولى حكيم يعقوب باشا أحد الأطباء السبعة المشهورين ممن سجلت أسماؤهم فى دفتر العلماء، وهو طبيب ايطالى يهودى الأصل، هاجر إلى الأراضى العثمانية هرباً من البابا نيقولا الخامس خوفاً من الضغط عليه لاعتناق المسيحية، ودخل فى الدين الإسلامى وارتفعت درجاته حتى أصبح كبير الأطباء (حكيمباشى) فى السراى والطبيب الخاص للسلطان الفاتح [١١٣].

---

(١٠٩) أكمل الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ج٢، ص ٦١٧_ ٦١٩.

(١١٠) آلتونى زاده : طبيب ذاعت شهرته فى علاج المسالك البولية، فقد عالج احتباس البول بالمجس معتمدا فى ذلك على طريقة ابن سينا، كما ازال أيضاً زائدة لحمية فى مسلك البول، ووضع التونى زاده رسالة شرح فيها هذه الطريقة (انظر : أكمل الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ج٢، ص ٦٢٠).

(١١١) أكمل الدين إحسان أوغلى و مرجع سابق، ج٢، ص ٦٢١ .

(١١٢)نفس المرجع السابق.

(١١٣)أكمل الدين إحسان أوغلى و مرجع سابق، ج٢، ص٦٢١. على همت بركى الآقسكى، ص ٤٥

Kohen ،Elli; History of the ،Turkish Jews and Sephardim: Memories of the past golden age ،University Press of America ،(2007) p.19

ونتيجة اهتمامه بالطب قام السلطان محمد الفاتح ببناء مستشفى وكان يعمل فيها طبيبان واختصاصى للعيون وجراح وصيدلى، بالإضافة إلى المدير ومساعده، وكان هناك أيضاً طباخان يقومان بإعداد الوجبات تحت المراقبة الطبية. وإلى جانب هؤلاء كان يعمل فى المستشفى ممرضان. وهما مكلفان حسب الوقفية بالمعاملة اللطيفة للمرضى. وكانت المستشفى تستقبل الفقراء الذين كانوا لا يستطيعون أن يدفعوا أجرة العلاج فى بيوتهم أو ثمن الدواء، أما مصاريف المستشفى التى كانت تبلغ فى اليوم خمس دوقيات ذهبية، فقد كانت تغطى من الوقف الذى أوقفه السلطان الفاتح على المدارس والمنشأت [١١٤].

اهتمامه بالشعراء والأدباء:

كان السلطان محمد الفاتح راعياً لنهضة أدبية، حكم ثلاثين عاماً كانت أعوام خصب ورخاء وبركة ونماء وعرف بأبي الفتح لأنه غلب على إمبراطوريتين، وفتح سبع ممالك واستولى على مائتي مدينة، وشاد دور العلم ودور العبادة ، فعرف كذلك (بأبي الخيرات) ونبغ فى عهده عدد من الشعراء والأدباء، بل الشاعرات أيضا فى اللغة التركية التى حلت محل الفارسية لغة الثقافة الأدبية القديمة ـ منذ عهد مراد الثانى والد الفاتح [١١٥].

فقد كان لفتح مدينة القسطنطينية (استانبول) أثره العظيم فى تدعيم أدب البلاط العثمانى الذى أخذ فى التشكل قبل ذلك، إذ بدأ الفنانون والشعراء والعلماء يتوافدون على استنابول مركز الثقافة وعاصمة الدولة، ويتسابقون للحظوة بدخول البلاط، وكان السلطان محمد الفاتح يعظم الفنانين ورجال العلم من الشرق والغرب.

كما كان السلطان محمد الفاتح شاعراً مجيداً مهتماً بالأدب عامة والشعر خاصة، وكان ميالاً إليه بموهبته الفطرية وطبيعته الفنية، وكان يقرض الشعر باللغة التركية والفارسية وله ديوان مطبوع، فقد كان يصاحب الشعراء ويصطفيهم، واعتنى بالكثير منهم، وكان في بلاطه ثلاثون شاعراً يتناول كل منهم راتباً شهرياً [١١٦].

ووجد الفاتح لذة كبيرة فى انشاء الشعر والاستماع إليه، ويجزل العطايا للشعراء بدون تمييز بين جنسياتهم وأوطانهم، ولم تقف جوائزه عند حدود الوطن بل جاوزتها إلى الهند

---

(١١٤) خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية، ص ٢٢٢.

(١١٥)محمد حرب، العثمانيون فى التاريخ والحضارة، ص١٨١.

(١١٦) سيد رضوان على، مرجع سابق، ص ١٤.

وإيران فشملت شعراءهما فإنه كان يرسل راتباً شهرياً محترماً إلى خواجه " جهان " شاعر الهند و " جامى " شاعر ايران [١١٧]. وكان محمد الفاتح ينكر على الشعراء التبذل والمجون والدعارة ويعاقب الذي يخرج عن الآداب بالسجن أو يطرده من بلاطه. ومن أقدم الشعراء الأتراك فى عهد الفاتح " يونس امره " المتوفى حوالى ٧٢١هـ/١٣٢١م وكان شاعراً شعبياً متصوفاً [١١٨].

كما اشتهر فى عهده أيضا مجموعة من الشعراء منهم شيرنواى[١١٩] وحمدى [١٢٠] وشهدى وغيرهم كثيرون، ومن النساء الشاعرات زينب القسطمونية ومهرى [١٢١]

---

(١١٧) على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٣٩.

(١١٨) سيد رضوان على، مرجع سابق، ص ٧٨.

(١١٩) شيرنواى : هو العالم الفاضل الحكيم شكر الله الشيرنواى، ارتحل من وطنه إلى بلاد الروم واتصل بخدمة السلطان محمد الفاتح وتقرب عنده لأجل الطب وكان طبيباً حاذقاً صاحب مروءة، وكانت له معرفة بالتفسير والحديث والعلوم العربية و ولما حج أقام بمصر مدة، وقرأ الحديث على علمائها منهم الشيخ السخاوى ونظراؤه وسمع الحديث بالروم من المولى أحمد الكورانى وكلهم أجازوه إجازة ملفوظة مكتوبة وتوفى فى عهد السلطان الفاتح (انظر: طاشكيرى زاده، الشقائق التعمانية فى علماء الدولة العثمانية، ص ١٣٤.)

(١٢٠) هو حمد الله بن العالم الكبير والصوفى الشهير الشيخ آق شمس الدين الذى شهد فتح ستانبول (القسطنطينية) وولد فى گوينوكو ولا نعرف عن حياته الشئ الكثير سوى انه كان عالما صالحا زاهدا متواضعا منقطعا عن الناس وكانت له يد طولى فى النظم بالتركية (انظر: طاشكيرى زاده، الشقائق التعمانية فى علماء الدولة العثمانية، ص ١٤٥. على همت بركى الآقسكى، العاهل العثمانى ابو الفتح السلطان محمد الثانى، ص ٣٩، ح١، أكمل الدين إحسان أوغلى، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج٢، ص ٥٣).

(١٢١) مهرى : عرفت الشاعرة مهرى خاتون (ت ٩١٢هـ/١٥٠٦م) بانها كانت تشارك فى مجالس الامير أحمد ابن السلطان بايزيد عندما كان واليا على اماسيا ونجحت فى اثبات وجودها على مسرح الحياة الدينية انذاك، وكانت مهرى تستخدم اسمها مخلصا شعريا، ولا تتورع عن ذكر ما يجيش فى داخلها حتى لفتت الانظار باسلوبها وطرزها الخاص، وكانت امراة لم تمنعها انثوتها من القول ان: امراة واحدة فاضلة هى الارجح عندى اذ تفوق الف رجل لا يفقه من الامر شيئا

وقد تاثرت مهرى فى اشعارها بالشاعر نجاتى حتى غلب اسلوبه عليها، ولم يكن ذلك الامر يروق للأخير فكانا يتبادلان السباب ويقدح أحدهما الاخر، ويتصدر ديوان مهرى خاتون قسم من (تضر عنامه) اى مناجاة جاءت على شكل مثنوى (انظر : أكمل الدين إحسان أوغلى، الدولة العثمانية، ج٢، ص٥١).

الآماسية"[١٢٢].

وكان الفاتح نفسه شاعراً واتخذ لنفسه لقباً شعرياً، وهو "عونى " [١٢٣] على عادة شعراء الفرس والأتراك وشعراء الهند وباكستان، وله ديوان شعر مطبوع باسم " ديوان عونى " وتأثر فى أشعاره بالشاعر أحمد باشا (ت ٩٠٣/١٤٩٧م) [١٢٤] وزيره وكان شاعراً غزلياً ومن أبرز شعراء العصر آنذاك ولتشجيع ذلك انشأ فى كل من بروسه وقسطمونى من مدن الأناضول مدارس لتعليم الشعر الغنائى، وأجرى مرتباً لثلاثين شاعراً فى بلاطه، فأضحت المدن الكبرى مجامع الأدباء والشعراء [١٢٥].

ومن الشعراء الذين فازوا بعطف الفاتح الشاعر " حمدى " ناظم قصتى " سيدنا يوسف وزليخا " و " ليلى والمجنون " على غرار ما نظمه جامى. والشاعر " شهدى " الذى بدأ ينظم التاريخ العثمانى كما نظم الفردوسى تاريخ ايران ولكن عاجلته المنية قبل اتمامه. و" الكلشنى " وقد نظم نحو عشرين الف بيت فى أسلوب " مثنوى " لمولانا جلال الدين

---

(١٢٢) نسبة إلى اماسية مدينة بالاناضول معروفة بجودة تفاحها(انظر : على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٣٩)

(١٢٣) عونى : اسم شعرى لمحمد الفاتح وهو ما يعرف عند شعراء التلرك والفرس بالتخلص او المخلص، فكان الشاعر يختار اسمه الشعرى من اسمه او من اسم حرفته وبلده وما إلى ذلك (انظر : على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق و ص ٣٨، ح٢. محمد حرب، العثمانيون فى التاريخ والحضارة، ص١٨٢، نهرو محمد الكسنزان، مرجع سابق، ص٢٧).

Abdulhak Adnan Adivar ،Osmanli Turklerinde Ilim ،Ikinci Baski ،Maarif matbaasi ، (Istanbul ،1943) ,p. 24.

(١٢٤) أحمد باشا: من أبرز شعراء عصر السلطان محمد الفاتح وكان يعرف بانه الشاعر الوحيد الذى ملك زمام القصيده فى عصره، وكان امير النظم بلا منازع، وهو ما يكفى لبيان قدرة أحمد باشا فى الساحة الادبية، ومع ذلك فان هناك من اتهمه " بالترجمة " والنقل عن الشعراء الفرس ووقوعه تحت تاثيرهم، وقد عرف أحمد باشا فى اشعاره بالاغرآق فى استخدام المحسنات البديعية، ودفعه سوء حظه لان يتعرض لغضب السلطان محمد الفاتح، فلما كتب قصيدته ذات الرديف "كرم " وحازت اعجاب السلطان عفا عنه ونجا الشاعر من براثين القتل، ولم يعد يقترب من بلاط السلطان بعد ذلك و بل انه لم يدخل استانبول حتى بعد وفاة السلطان و وتم تعيينه امير سنجق على بورصة، وكان للشاعر أحمد باشا اثره الكبير على الشعراء الذين جاءوا بعده و وله ديوان شعر مرتب (انظر : أكمل الدين إحسان أوغلى. الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، ج٢، ص ٥٠) .

(١٢٥) سيد رضوان على، مرجع سابق، ص ٧٩.

الرومى، و" إلهمى " منشئ زاد المشتاقين ونتائج الأرواح. والشاعر" نجاتى " [١٢٦].

ونسج هؤلاء الشعراء على منوال الشعر الفارسى الصوفى والغزلى والملحمى، والذى كان معروفاً فى آسيا الصغرى منذ عهد سلاجقة الروم، والذين ورثت تراثهم الدولة العثمانية فى مجال الأدب والفن والإدارة والحكم [١٢٧]. وليس شعراء عهد الفاتح هم الذين ذكرناهم بل كان هناك مئات من الشعراء غيرهم، وقد سجل لنا كتب التراجم الخاصة بالشعراء سبعة شعراء تولوا الوزارة فى عهده [١٢٨].

كما اهتم السلطان محمد الفاتح بالنهضة التى ظهرت فى ايطاليا، وعهد إلى أحد فنانى البندقية " جنتيل بلينى ***Gentile Bellini*** " أن يرسم له صورة زيتية ولا تزال هذه الصورة محفوظة له إلى اليوم فى مجموعة لايارد البندقية [١٢٩].

اهتمامه بالترجمة:

كان السلطان محمد الفاتح متقن للغة الرومية، ومن أجل أن يبعث نهضة فكرية في شعبه أمر بنقل كثير من الآثار المكتوبة باليونانية واللاتينية والعربية والفارسية إلى اللغة التركية من ذلك كتاب " مشاهير الرجال " لبلوتارك، ونقل إلى التركية كتاب التصريف في الطب لأبي القاسم الزهراوي الطبيب الأندلسي مع زيادات في صور آلالات الجراحة وأوضاع المرضى

---

(١٢٦) نجاتى (ت٩١٥هـ/ ١٥٠٩م) من أبرز شعراء القرن الخامس عشر وتتساوى مكانته فى أدب الديوان مع مكانة أحمد باشا، واستطاع بغزلياته ان يحظى بالشهرة التى حظى بها الاخير فى قصائده. وكان نجاتى يحذو حذو الشعراء الفرس من امثال سامان ساوه جى (ت٧٧٨هـ/ ١٣٧٦م) ونظامى (ت٦١١هـ/ ١٢١٤م) واصل اسمه عيسى ومولده فى أدرنه إلا انه عاش مدة طويلة فى قسطمونى وكتب فيها غزلين نال بهما شهرة واسعة، وكان وفوده على استانبول ودخوله إلى البلاط العثمانى بواسطة واحد من ندماء السلطان محمد الفاتح، ونالت اشعاره اعجابا عظيما بفضل ما كان يستخدمه فيها من عناصر محلية وقدرته الفائقة على تطويع الالفاظ التركية الخالصة للاوزان العروض واثنى عليه اصحاب تذاكر الشعراء ونعتوه بـــ " خسرو الروم " و " ملك الشعراء " وله عدا الديوان عدة اعمال ومنظومات و ويعزى النجاح الذى حققه نجاتى إلى استخدامه للتعابير والالفاظ التركية بطريقة خاصة انفرد بها وإلى اسلوبه الشائق وقدرته الفنيه التى ظهرت فى غزلياته (انظر : أكمل الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ج٢، ص ٥٢).

(١٢٧) سيد رضوان على، مرجع سابق، ص ٧٩.

(١٢٨) على همت بركى الآقسكى، مرجع سابق، ص ٣٩.

(129) David Dereksen ،The Cresent and the cross fall of Byzantium ,May 1953 (new-york.1964) pp.151-152.

أثناء إجراء العمليات الجراحية.

وعندما وجد كتاب بطليموس في الجغرافيا وخريطة له قام بمطالعته ودراسته مع العالم الرومي جورج اميروتزوس، ثم طلب إليه الفاتح وإلى ابنه (ابن العالم الرومي) الذي كان يجيد اللغتين الرومية والعربية بترجمة الكتاب إلى العربية، وإعادة رسم الخريطة مع التحقيق في أسماء البلدان وكتابتها باللغتين العربية والرومية، وكافأهما على هذا العمل بعطايا واسعة جمة، وكان العلامة علي القوشجى (٨٧٩هـ/ ١٤٧٤م) وهو من أكبر علماء عصر الفاتح في الرياضيات والفلك كلما ألف كتاباً بالفارسية نقله إلى العربية وأهداه إلى الفاتح[١٣٠].

وكان الفاتح مهتماً باللغة العربية، لأنها لغة القرآن الكريم كما أنها من اللغات العلمية المنتشرة في ذلك العهد. وليس أدل على اهتمام الفاتح باللغة العربية من انه طلب إلى" المدرسين بالمدارس الثماني أن يجمعوا بين الكتب الستة في علم اللغة كالصحاح والتكملة والقاموس وأمثالها ". ودعم الفاتح حركة الترجمة والتأليف لنشر المعارف بين رعاياه بالاكثار من نشر المكاتب العامة وأنشأ له في قصره خزانة خاصة احتوت على غرائب الكتب والعلوم، وعين الشيخ لطفي أميناً عليها، وكان بها اثنا عشر ألف مجلد عندما احترقت عام ٨٧٠هـ/١٤٦٥م وقد وصف الاستاذ ديزمان هذه المكتبة بأنها بمثابة نقطة تحول في العلم بين الشرق والغرب[١٣١].

وصية الفاتح لابنه:

ترك محمد الفاتح قبل وفاته وصيته لابنه وولى عهده يقول فيها: " ها أنذا أموت، ولكنى غير آسف لأنى تارك خلفاً مثلك، كن عادلاً صالحاً رحيماً وابسط على الرعية حمايتك بدون تمييز، وأعمل على نشر الدين الإسلامى، فإن هذا هو واجب الملوك على الأرض، قدم الاهتمام بأمر الدين على كل شئ، ولا تفتر فى المواظبة عليه، ولا تستخدم الأشخاص الذين لا يهتمون بأمر الدين، ولا يتجنبون الكبائر وينغمسون فى الفحش، وجانب البدع المفسدة وباعد الذين يحرضونك عليها ووسع رقعة البلاد بالجهاد، وأحرس أموال بيت المال من أن تتبدد، وإياك أن تمد يدك إلى مال أحد من رعيتك إلا بحق الإسلام، واضمن للمعوزين قوتهم، وابذل إكرامك للمستحقين.

---

(١٣٠) أكمل الدين إحسان أوغلى، مرجع سابق، ج٢، ص ٦١٤. سيد رضوان على، مرجع سابق، ص ٨٢.

(١٣١) على محمد الصلابى، السلطان محمد الفاتح، ص ١٨٣.

وبما ان العلماء هم بمثابة القوة المبثوثة فى جسم الدولة، فعظم جانبهم وشجعهم وإذا سمعت بأحد منهم فى بلد آخر فاستقدمه إليك وأكرمه بالمال . حذار حذار لا يغرنك المال ولا الجند، إياك أن تبعد أهل الشريعة عن بابك، واياك أن تميل إلى أى عمل يخالف أحكام الشريعة، فإن الدين غايتنا والهداية منهجنا، وبذلك انتصرنا.

خذ منى هذه العبرة: " حضرت هذه البلاد كنملة صغيرة فأعطانى الله تعالى هذه النعم الجليلة، فألزم مسلكى، واخذ حذوى، وأعمل على تعزيز هذا الدين وتوقير أهله، ولا تصرف أموال الدولة فى ترف أو لهو، وأكثر من قدر اللزوم، فإن ذلك من أعظم أسباب الهلاك" (١٣٢).

---

(١٣٢) صبحى عبد المنعم، عبد الحميد حامد سليمان، دراسات فى تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ، ص٨٠

الخاتمة

وهكذا فقد وجدت الدولة العثمانية في محمد الفاتح ما تنشده كل أمة في حاكمها لينهض بها وبحضارتها ويرسخ من أقدامها داخل دولتهم وخارجها، ويحافظ علي دينهم وكرامتهم وكيانهم؛ لتكون بذلك هي الدولة الكبرى.

ويتضح لنا من خلال هذه الدراسة الحقائق التاريخية التالية:

يعد السلطان الفاتح من أعظم سلاطين آل عثمان.

١. إنه لم يكن لتلك النهضة أن تتم، ولا للفتح أن يكتمل إلا بتضافر كل تلك الجهود من جانب السلطان الفاتح، وقيامه على رعاية العلم والعلماء في العديد من مناحي العلوم النقلية والعقلية والإدارية والحربية حتي وصلت الدولة في عهده إلى ما وصلت إليه من رقي حضاري ومنعة وازدهار.

٢. أثر العلم ودور العلماء البارزين والمخلصين فى تربية السلطان محمد الفاتح، فقد ظهر هذا واضحاً من خلال حرص والده على نشأة ابنه وتربيته على يد علماء عظام.

٣. مدى عمق العلاقة بين السلطان محمد الفاتح والعلماء وخاصة الشيخ آق شمس الدين والملا الكورانى وتحفيزهم له على محاولة القيام بفتح القسطنطينية.

٤. جهود الفاتح فى النهوض باستنابول بعد فتحها بانشاء المدارس والمستشفيات ورعاية الطلبة وتخريج علماء أصبح لهم دور فى شتى مجالات المعرفة.

٥. ترك محمد الفاتح وصية عبرت أصدق التعبير عن منهجه فى فترة حكمه وقيمه ومبادئة التى آمن بها وصار على أساسها فى حكمه للدولة العثمانية.

المصادر والمراجع

المصادر:

وثائق غير منشورة:

سجلات محكمة اسكندرية الشرعية، سجل ٤٠، مادة ١٦٥,١٦٢,١٦٠، ص ٦٠-٦٣، بتاريخ ١٢ ربيع الثانى ١٠٣٢هـ/١٦٢٢م.

مصادر عربية محققة:

١. مسند الامام أحمد بن حنبل، المكتب الاسلامي، بيروت ,١٤١٣هـ (ج ٤/ ص٤٥١.

٢. ابو العباس ابن أبى أصيبعة (ت ٦٨٨هـ)، عيون الانباء فى طبقات الاطباء، تحقيق دكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ٢٠١٠م.

٣. ابو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد بن رشد (٥٩٥هـ)، تهافت التهافت، تحقيق دكتور سليمان دنيا، سلسلة ذخائر العرب (٣٧) دار المعارف، القسم الأول، الطبعة الأولى، ١٩٦٤م.

٤. الامام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت ٧٤٨هـ / ١٣٧٤م)، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة للنشر، بيروت، ٢٤ جزء، ٢٠٠١، ج٢٠.

٥. تقى الدين بن عبد القادر التميمى الدارى الغزى المصرى الحنفى (ت ١٠٠٥هـ / ١٥٩٦م)، الطبقات السنية فى تراجم الحنفية، تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو، المجلس الاعلى للشئون الاسلامية، لجنة احياء التراث الاسلامى، كتاب رقم ١٧ القاهرة، ١٩٧٠م، ج١,ج٣.

٦. سليمان بن خليل بن بطرس جاويش من دير القمرانى، التحفة السنية فى تاريخ استانبول، طبعة مصورة عن طبعة نادرة، ٣ أجزاء، دار صادر، بيروت، ١٨٨٧م، ج١.

٧. طاشكيرى زاده، الشقائق التعمانية فى علماء الدولة العثمانية، (ت ٩٦٨هـ) دار الكتاب العربى، بيروت ـ لبنان، ١٩٧٥.

٨. على باشا مبارك، الخطط التوفيقية الجديدة لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة والشهيرة، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ٢٠٠٤ م، ج١.

٩. محمد بن عبد الوهاب المكناسى، رحلة المكناسى، احراز المعلى والرقيب فى

حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب (١٧٨٥م) تحقيق محمد بوكبوط، دار السويدى للنشر والتوزيع والمؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠٠٣.

١٠. محمد بن على الشوكانى، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، دار الكتاب الاسلامى، القاهرة، د.ت، ج٢.

مراجع عربية:

١. أحمد السعيد سليمان، تأصيل ما ورد فى تاريخ الجبرتى من الدخيل، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م.

٢. أ.أورخان محمد على، روائع من التاريخ العثمانى، دار الكلمة للنشر والتوزيع، مصر . المنصورة، ٢٠٠٧م.

٣. أحمد آق كوندز، سعيد أوزتورك، الدولة العثمانية المجهولة ، ٣٠٣ سؤال وجواب توضح حقائق غائبة عن الدولة العثمانية، وقف البحوث العثمانية، استانبول، ٢٠٠٨م.

٤. أحمد عبد الرحيم مصطفى، فى أصول التاريخ العثمانى، دار الشروق، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٩٨٢م.

٥. أكمل الدين إحسان أوغلى، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة، منظمة المؤتمر الاسلامى، مركز الابحاث للتاريخ والفنون والثقافة الاسلامية، ٢ مجلد، استانبول، ١٩٩٩م,ج٢.

٦. برنارد لويس، استنبول وحضارة الخلافة الاسلامية، تعريب وتعليق سيد رضوان على، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م.

٧. توفيق الطويل، التصوف فى مصر إبان العصر العثمانى، مطبعة الاعتماد، القاهرة، ١٩٤٦م.

٨. خليل اينالجيك، تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة محمد. م. الأرناؤوط، دار المدار الإسلامى، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٢م.

٩. روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعى، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع بالتعاون مع البعثة الفرنسية للأبحاث والتعاون ـ قسم الترجمة، القاهرة . باريس، ١٩٩٣م، ج١.

١٠. سيد رضوان على، محمد الفاتح بطل الفاتح الاسلامى فى أوروبا الشرقية، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

١١. صبحى عبد المنعم، عبد الحميد حامد سليمان، دراسات فى تاريخ الدولة العثمانية، مكتبة الرشد ناشرون، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٥هـ.

١٢. عبد السلام عبد العزيز فهمى، السلطان محمد الفاتح فاتح ستانبول (القسطنطينية) وقاهر الروم (٨٣٣-٨٨٦هـ/١٤٢٩-١٤٨١م) سلسلة اعلام المسلمين دار القلم، دمشق، الطبعة الخامسة، ١٩٩٣م.

١٣. عزتلو يوسف بك آصاف، تاريخ سلاطين بنى عثمان، كلمات للترجمة والنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.

١٤. على حسون، تاريخ الدولة العثمانية وعلاقاتها الخارجية، المكتب الاسلامى، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م.

١٥. على محمد الصلابى، السلطان محمد الفاتح وعوامل النهوض فى عصره، دار الايمان للطبع والنشر والتوزيع، ٢٠٠٢م.

١٦. علي محمد الصلابي، الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط، دار التوزيع والنشر الاسلامية، القاهرة، الطبعة الأولى، ٢٠٠١م.

١٧. على همت بركى الآقسكى، العاهل العثمانى أابو الفتح السلطان محمد الثانى فاتح ستانبول (القسطنطينية) وحياته العدلية، تعريب محمد إحسان بن عبد العزيز، بمناسبة الاحتفال بمرور خمسمائة عام على فتح استانبول، القاهرة، ١٩٥٣م.

١٨. ف. ويستنفلد، جدول السنين الهجرية بلياليها وشهورها بما يوافقها من السنين الميلادية بأيامها وشهورها، ترجمة عبد الوهاب ماجد، عبد المحسن رمضان، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الأولى، ١٩٨٠م.

١٩. فريد بك المحامى، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق د. إحسان حقى، دار النفائس، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

٢٠. مصطفى بن الحاج ابراهيم تابع المرحوم حسن آغا عزبان الدمرداشى، تاريخ وقايع مصر القاهرة المحروسة كنانة الله فى ارضه، تحقيق صلاح أحمد هريدى على، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م.

٢١. محمد حرب، العثمانيون فى التاريخ والحضارة، المركز المصرى للدراسات العثمانية وبحوث العالم التركى، سلسلة دراسات عثمانية (١)، القاهرة، ١٩٩٤م.

٢٢. محمد مصطفى صفوت، السلطان محمد الفاتح فاتح استانبول، دار الفكر العربى، القاهرة، ١٩٤٨م.
٢٣. محمد نامق كمال، فاتحة الفتوحات العثمانية، المطبعة الوطنية، حيفا، ١٩٠٩م.
٢٤. نهرو محمد الكسنزان، السلطان محمد الفاتح حياته وفتوحاته، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠١٣م.
٢٥. يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة عدنان محمود سليمان، محمود الانصارى، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا ـ استانيول ١٩٨٨م، ج١.
دوائر المعارف والقواميس:
١. ابراهيم زكى خورشيد، أحمد الشنتناوى، عبد الحميد يونس، دائرة المعارف الاسلامية، كتاب الشعب، المجلد الثانى، ج١٥.
٢. خير الدين الزركلى، الاعلام، قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٠م، ج٥.
دوريات عربية:
١. محمد شفيق غربال، المقالة الأولى فى ترتيب الديار المصرية فى عهد الدولة العثمانية، كما شرحه حسين افندى الروزنامجى، أحد أفندية الروزنامة فى عهد الحملة الفرنسية، بعنوان " مصر عند مفترق الطرق " المجلد الرابع، الجزء الأول، مايو ١٩٣٦م.
المراجع الأجنبية:
1. Abdulhak Adnan Adivar, Osmanli Turklerinde Ilim, Ikinci Baski, Maarif matbaasi, (Istanbul, 1943).
2.Brnard Lewis, The Emergence of modern Turkey, first published, Oxford University press, (Oxford, 1961)
3.David Dereksen, The Cresent and the cross fall of Byzantium ,May 1953 (new-york.1964)
4. Halil Inalcik, The middle east and the Balcans under the Ottoman Empire, essays on economy and Society, Indiana university Turkish Studies and Turkish Ministry of culture Joint Series,

Bloomington,1954,

5.Hüseyin Atay, Osmanlilarda yüksek din eğitimi, Dergâh Yayınları, 1983

6. Ismail Hami Danismend, fatih'in, hayati ve fetih takvimi, Kanaat Matbaasi, (Ankara, 1953)

7. Kohen, Elli; History of the Turkish Jews and Sephardim: Memories of the past golden age, University Press of America, (2007).

8.Stanford. J. Shaw ,The Financial and Administrative Organization and Development Of Ottoman Egypt 1517-1798, new-jersy,1962.

9. Tursun bey, Tarih-i Ebu'l – Feth, Hazirlayan Mertol Tulun, Baha matbaasi, (Istanbul, 1977).

10. Vakiflar umum mudurlugu, Fatih Mehmet II vakfiyeleri, vol: 2, cumhuriyet matbaasi, (Istanbul, 1938).